سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (30) | 15 / 4 /2012

أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

نزوح جماعي داخلي من المدن المنكوبة في سوريا

النازحون يواجهون مشاكل إنسانية وتنقلا متكررا واعتقالات بسبب الانتماء الجغرافي

إضافة إلى النزوح الجماعي إلى الدول المجاورة لسوريا بسبب أعمال القمع التي ينتهجها النظام، تشهد المدن المنكوبة حالات نزوح جماعية إلى أماكن أكثر استقرارا داخل البلاد، وتحولت العديد من الأحياء والمدن إلى مناطق شبه مهجورة، وسط أزمة إنسانية تواجهها العائلات، التي قد تضطر إلى النزوح أكثر من مرة بسبب تعاقب القصف على عدة مناطق.

وتشير تقديرات لمصادر إغاثية، إلى أن ما يقارب مليون شخص نزحوا من حمص وحدها تجاه مدن أخرى أو خارج سوريا، إضافة إلى عشرات الآلاف نزحوا من حماة وإدلب.

وقال أحد النشطاء العاملين في المجال الإغاثي، إن العديد من سكان أحياء الخالدية وباب دريب وباب هود والحميدية وبابا عمرو والبياضة ودير بعلبة والقصير في حمص، نزحوا لمناطق في ريف حمص والقلمون بريف دمشق.

وأكد المصدر أن منطقة القلمون وحدها تستضيف ما يقارب 10 آلاف عائلة، بما يعادل 100 ألف نسمة، تتراوح أعمارهم بين بضعة أشهر إلى 50 سنة، مؤكدا أن أصغر مناطق دمشق تحتوي على مئات العائلات النازحة من المدن التي تتعرض للقصف.

وأوضح أن دير عطية يستضيف 1100 عائلة، كما يستضيف النبك 6000 عائلة بسبب الهدوء النسبي في تلك المناطق وتوفرها على بنية تحتية قادرة على استيعاب أعداد كبيرة، كما تتواجد في كل من يبرود وقارة حوالي 500 عائلة، وما يقارب 250 عائلة في جيرود.

وأضاف: المئات من العائلات قد نزحت إلى مناطق زيدل فيروزة وحسية والحميرة والقريتين وتدمر في الشمال الشرقي من حمص.

وأجبر العديد من العائلات على النزوح بعد تهدم الأحياء التي كانت تقطنها، لاسيما في حمص، التي لحق الدمار نصف أحيائها، فيما تعرضت أحياء أخرى لهدم شبه كامل، حيث لا يتجاوز عدد المقيمين حالياً في حي بابا عمرو أكثر من 1000 شخص، من أصل 10 إلى 20 ألفا كانوا يقيمون في الحي قبل اندلاع الثورة.

وبحسب مصادر أخرى، فإن 70٪ من سكان مدينة سراقب بإدلب قد نزحوا إلى مدن أخرى بعد تعرض المدينة للقصف الشديد وتهدم بعض منازلها.

وأدت الأوضاع الأمنية والحملات العسكرية المتكررة التي رافقها قصف الطائرات العمودية والأسلحة الثقيلة في منطقة القلمون العليا إلى نزوح العديد من العائلات التي لجأت إليها قبل ذلك من حمص، إضافة إلى عائلات تنحدر من تلك المنطقة، إلى القلمون السفلى ومدينة دمشق.

وأكد بعض أهالي قدسيا والهامة بريف دمشق، أن أكثر من 1000 عائلة من حمص تتواجد حالياً في مناطقهم، وقدم بعض الأهالي المساعدة لها، في حين امتنع آخرون، خشية تعرضهم للانتقام من الأمن.

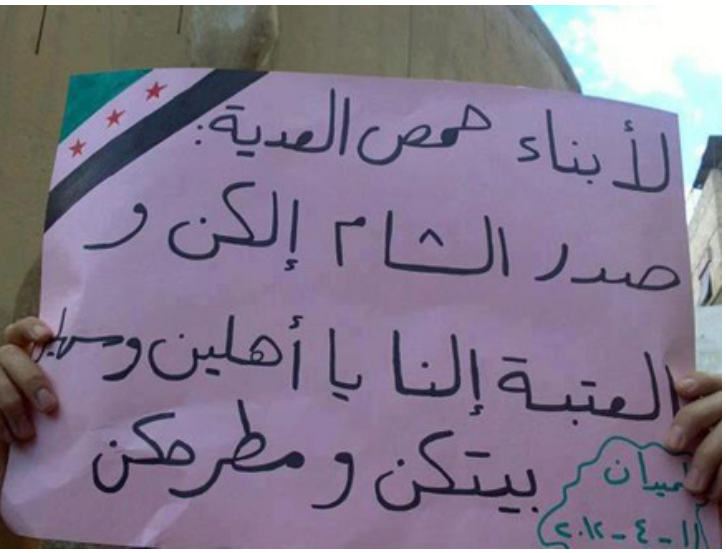

ويتم غالباً ملاحقة النشطاء الذين يقدمون مساعدات للنازحين، لاسيما الأطباء الذين يقدمون علاجات للجرحى دون الرجوع للأجهزة الأمنية.

وتحدث أحد النشطاء عن ملاحقات أمنية يتعرض لها أطباء من مدينة يبرود لمساهمتهم بعلاج بعض المصابين، كما تم تسجيل اختفاء طبيبين من المدينة قاما بعلاج الجرحى.

كما أنه أصبح من الرائج أن توق السلطات أثناء قيامها بحملات في المناطق التي يتواجد فيها نازحون باعتقال عدد من الشبان بسبب انتمائهم لمناطق معينة، حيث أصبح الانتماء الجغرافي "تهمة" يعاقب عليها الأهالي.

ويواجه النازحون مشاكل إنسانية جراء تنقلهم المتكرر أو توجههم إلى مناطق نائية، حيث جرى تسجيل حالة وفاة لطفلين جراء البرد القارس، حين نزحت عائلة إلى بلدة رنكوس المحاذية لصيدنايا.

ويرفض العديد من العائلات تسجيل استمارة لأخذ معونات من الهلال الأحمر السوري أو المنظمات الأخرى، خشية اضطلاع قوات الأمن على تلك القوائم ومعرفة أماكن تواجد النازحين.

أعداد السوريين في الأردن إلى ازدياد وفرنسا تدرس إمكانية تقديم دعم لهم

قالت السفارة الفرنسية في عمان الجمعة أن فرنسا تدرس إمكانية تقديم دعم للسوريين الذين لجأوا إلى الأردن بينما يستمر تدفق السوريين إلى المملكة هربا من العنف في بلدهم.

وقالت السفارة في بيان تلقت فرانس برس نسخة عنه أن ايريك شوفالييه، سفير فرنسا في سورية يزور الأردن حاليا والتقى الجمعة في الرمثا (شمال المملكة) 'سوريين اضطروا لترك بلدهم، ليعبر لهم عن تكافل فرنسا معهم'.

وأضاف البيان أن 'الزيارة هدفت لدراسة إمكانية تقديم الدعم للشعب السوري الموجود على الأراضي الأردنية بسبب الأوضاع في سورية'.

وأشار إلى لقاء شوفالييه مسؤولين أردنيين وممثلي مؤسسات تابعة للأمم المتحدة ومنظمات غير حكومية.

من جانبها، قالت جمعية الكتاب والسنة الأردنية التي تقدم خدمات إغاثة أن حوالي 2500 سوري لجأوا إلى المملكة خلال الأسبوع الماضي بطرق غير شرعية.

وقال الشيخ زايد حماد رئيس الجمعية لوكالة فرانس برس أن 'حوالي 2500 سوري دخلوا إلى الأردن بطريقة غير رسمية عبر السياج الحدودي خلال الأسبوع الماضي بينهم منشقون عن الجيش السوري'.

وأضاف أن 'إحصائية أجرتها الجمعية مؤخرا أشارت إلى وجود 4500 عائلة مسجلة مع الجمعية أو ما مجموعه 25 إلف لاجئ سوري يتلقون مساعدات منها'.

ويقول الأردن أن حوالي 100 إلف سوري دخلوا المملكة منذ اندلاع الأحداث في سورية منتصف آذار (مارس) من العام الماضي، ومعظم هؤلاء يقيمون مع أقاربهم في مدينتي المفرق والرمثا شمال المملكة.

ومنذ عام ونيف يقمع نظام الرئيس السوري بشار الأسد بعنف انتفاضة شعبية غير مسبوقة ما أدى إلى سقوط أكثر من عشرة آلاف قتيل حسب المرصد السوري لحقوق الإنسان ودفع بعشرات آلاف السوريين إلى النزوح خصوصا إلى البلدان المجاورة.

لماذا يبني النظام السوري جدارا حول بابا عمرو؟!

قام النظام السوري قام بإغلاق منطقة الإنشاءات ووادي الذهب وصولا لبابا عمرو في مدينة حمص بجدران أسمنتية يبلغ ارتفاعها 3 أمتار تقريبا، لعزلها عن بقية المناطق وتهجير سكانها لتوطين أنصاره بها.

فقد نقل موقع «زمان الوصل» من مصادره بمدينة حمص أن نظام الأسد، قام ببناء جدار عازل يفصل باب عمرو في حمص عن محيطها، وأكد سكان المدينة أن النظام يسعى لقطع كل الطرق التي تصل مابين منطقة وادي الذهب وطريق دمشق والإنشاءات إلى منطقة بابا عمرو، بهدف عزل المنطقة عن محيطها.

وأوضح النشطاء أن النظام السوري ينوي ارتكاب المزيد من المجازر لتهجير ما تبقى من السكان وإعادة إعمار المنطقة مرة أخرى لتوطين موالين له قريبين من بابا عمرو، كما اعتبروا هذه الخطوة هي البداية لمنع المراقبين الدوليين وهيئة الصليب الأحمر الدولي من دخول المناطق وتسجيل الجرائم التي ارتكبها النظام السوري.

ووصف النشطاء خطوة النظام السوري هذه بأنها خطوة خطيرة، لم تقم بها أعتى الحكومات الديكتاتورية، داعين إلى عدم السكوت على هذا الأمر في ظل ما تتعرض له حمص من قصف وتهجير قسري وتدمير طال معظم مناطقها بلا استثناء.

هذا وقد اندلعت اشتباكات بين الميليشيات النظامية السورية ومجموعات منشقة في منطقة حدودية مع تركيا في شمال غرب سوريا صباح اليوم الجمعة، وتعتبر هذه الاشتباكات هي الأولى منذ دخول وقف إطلاق النار حيز التنفيذ قبل أكثر من 24 ساعة.

وقال مدير المرصد السوري لحقوق الإنسان رامي عبد الرحمن: «الاشتباكات الأولى المباشرة بين القوات النظامية ومنشقين منذ بدء وقف إطلاق النار، وتستخدم فيها الأسلحة الرشاشة الخفيفة والثقيلة».

وأضاف عبدالرحمن: «قوات عسكرية تضم دبابات وناقلات جند مدرعة كانت انتشرت في محيط قرية خربة الجوز على الحدود السورية التركية، وسُمع بعد ذلك صوت إطلاق رصاص كثيف ترافق مع محاولة الميليشيات النظامية اقتحام معقل للمجموعات المنشقّة في المنطقة رفع فيها علم الثورة، ما دفع المنشقين إلى الرد، واندلعت الاشتباكات».

في الثورة السورية: الانترنت أشد فتكاً من الرصاص

طوال العام الماضي انشغلت وسائل الإعلام بتغطية القمع الذي تعرض له الثوار في سوريا على يد نظام بشار الأسد، فضلا عن ما تسرب عبر شبكة الانترنت، وفي هذا السياق ذكر معهد واشنطن أن لسوريا تاريخ طويل مع سياسة القمع المفروضة على الانترنت، ويوضح الموقع انه منذ وان بدأت الثورة في البلاد بمساعدة تكنولوجيا من إيران وحزب اللّه، ازدادت وتيرة العمليات في الجيش الموالي للنظام والذي يهتم بالشق الالكتروني، وفي ظل عدم نية لإنهاء الأزمة في سوريا فمن المرجح أن نشهد عملية تصعيد على مستوى "المعارك الالكترونية".

تكتيكات النظام

يعتمد النظام السوري بشكل أساسي على إبطاء سرعة الانترنت ومنع الوصول إلى المواقع الالكترونية قبل أي مظاهرة كبرى وذلك من اجل أن يعيق قدرة المعارضة على تنظيم الاحتجاج، وبذلك يصبح الثوار عاجزين عن تحميل الصور أو أشرطة الفيديو أو تقديم تغطية حية للأحداث، كما حصل في الآونة الأخيرة في بابا عمرو.

وفي هذا السياق ذكرت التقارير انه يوم 3 حزيران/ يونيو تم إغلاق ثلثي الشبكات الالكترونية في محاولة من النظام لمنع المعارضة من تنظيم أي احتجاج على مقتل الطفل حمزة الخطيب.

ويوضح الموقع أن الانترنت في سوريا يعتمد على موفر خدمة انترنت تملكه السلطات السورية وبالتالي من السهل التحكم بالشبكة الالكترونية.

كما استخدم النظام السوري تقنيات الانترنت لإضعاف المعارضة، فخلال الأيام الأولى للانتفاضة استخدم الثوار الهاشتاغ لنشر المعلومات حول المظاهرات وحملة الحكومة السورية التي تلت ذلك، وفي غضون بضعة أشهر أصبحت في دائرة الاستهداف من قبل القوات الموالية للنظام، التي لجأت إلى أسلوب التهديد والوعيد من خلال إرسال الرسائل التحذيرية.

فضلا عن ذلك استخدم النظام السوري تقنية الانترنت المعروفة بـ"الرجل في الوسط"، حيث يسيطر مهاجم على ضحية عن طريق اعتراض الرسائل الواردة والصادرة دون علم الضحية.

غموض الجيش السوري الالكتروني

على الرغم من أن "الجيش السوري الالكتروني" هو احد أهم الأسلحة التي يستخدمها النظام في حملته الالكترونية، إلا أن هذا الجيش الالكتروني يبقى غامضا، فقد تم تسجيل نطاق موقعه من قبل الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية، والتي ترأسها بشار الأسد في التسعينات قبل أن يصبح رئيسا للبلاد، هذا وقد أكد الأسد دعمه المتواصل لهذا الجيش السوري الالكتروني قائلا:" اثبت الشباب أنهم قوة ناشطة وهناك الجيش الالكتروني الذي كان الجيش الحقيقي في الواقع الافتراضي".

والجيش السوري الالكتروني يركز على ما يلي: الترويج لحكومة الأسد وتخريب كل المواقع المناهضة للأسد، فضلا عن كتابة تعليقات تؤيد النظام على كافة صفحات الفايسبوك منها: الاتحاد الأوروبي، الرئيس باراك أوباما، أوبرا وينفري، هيومن رايتس ووتش وصفحة الجزيرة، فضلا عن ذلك فقد استهدف الجيش السوري الالكتروني المواقع الإسرائيلية واللافت أن الكثير منها لا تحتوي على مضمون سياسي.

فعالية الحملة الالكترونية

يوضح الموقع انه من الصعب تحديد عدد الاعتقالات والتعذيب وغيرها من الأفعال القمعية التي يرتكبها النظام بحق شعبه، إلا انه ما يمكن تأكيده أن الجيش السوري الالكتروني وغيرها من القوات الموالية للأسد معتادة على مواقع وسائل الإعلام الاجتماعية وتعمل بشتى الطرق على استهداف أعضاء المعارضة، فبحسب لجنة حماية الصحافيين، تم قتل 8 صحافيين في سوريا، دون أن نتحدث عن الاعتقالات والتهديد والتعذيب الذي تعرض له قسم كبير من الصحافيين.

ويشير الموقع إلى أن الحملة الالكترونية لا تزال تشكل جانبا مهما من العنف المستشري في سوريا، والعناصر الموالية للنظام لا تستهدف فقط المعارضة إنما تحد من وضوح حقيقة ما يحصل في سوريا على ارض الواقع وتقوض الجهود المبذولة لبناء توافق دولي في سوريا.

ويضيف الموقع انه يتعين على الولايات المتحدة أن تبذل المزيد من الجهد لمنع المنتجات الأميركية من الوصول إلى النظام السوري، فمن المعروف أن النظام يستخدم تكنولوجيا "بلو كوت" ومقرها كاليفورنيا، لمنع الوصول إلى مواقع المعارضة، وبالتالي يشدد الموقع على ضرورة اتخاذ قرارات بوضع ضوابط على بعض المواقع التي يمكن استخدامها لانتهاك حقوق الإنسان، وفي هذا السياق سبق وان دعم كريس سميث مشروع قانون من شأنه تنظيم التصدير لهذه التكنولوجيا، بالإضافة إلى ذلك يجب على واشنطن أن تحذو حذو الاتحاد الأوروبي والمملكة المتحدة وفرض عقوبات على السوريين والإيرانيين الذين يشاركون عن كثب في الحرب الالكترونية.

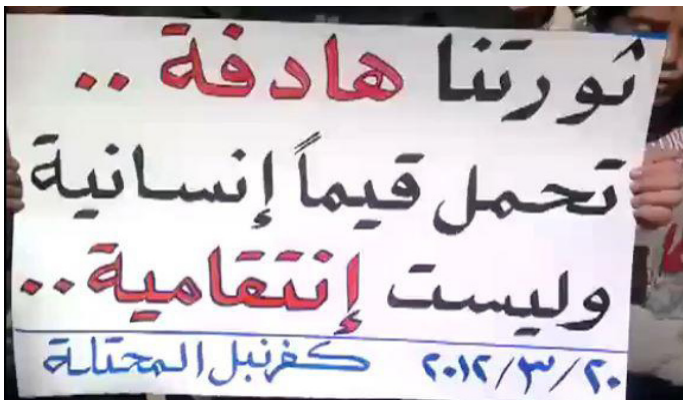

عام من ثورة الفقراء

■ ياسين سويحة

تطلّ نوافذ الذكرى الأولى لاندلاع الانتفاضة على مشاهد من الألم والدّم والموت تتجاوز، ببشاعتها، مقدار ما كان متخيّلاً عندما خرجت، في آذار الماضي، أولى المظاهرات في دمشق ودرعا. ما يقارب عشرة آلاف شهيد، عشرات، بل مئات، الآلاف من الجرحى والمعتقلين والمهجّرين داخل وخارج حدود البلاد، اقتصاد مهشّم على شفا الانهيار وأزمة اجتماعيّة مركبة تنذر بعواقب وخيمة إن تُركت جذورها تنهل من مناخ العنف المنفلت. لقد دفع الشعب السوري، كما نرى، ويدفع الغالي والرخيص، ويستحق، لذلك، بذل جهدٍ سياسي وفكري وأخلاقي يلائم فداحة هذه التضحيات الجسيمة، جهودٌ تصبّ في سبيل صناعة الأمل وتوفير كلّ الأدوات الممكنة واللازمة لكي يكون هذا الأمل واقعياً قابلاً للتحقيق. حتى هذه اللحظة تكاد تغيب هذه الجهود، السياسيّة والفكرية، لصالح نزاعات وصراعات حزبيّة وشخصانيّة من جهة، أو في سجالات إيديولوجيّة ضيّقة فيها من استراتيجيا التحالفات المحليّة والإقليمية والدوليّة أكثر مما فيها من العمل السياسي المنهجي الجاد.

في ظل هذا الفراغ السياسي، وبالاستفادة من مناخ العنف المنافي لأدنى درجات المنطق والأخلاق، يسهل لخيارات متطرّفة، شعبويّة الخطاب في الأساس، أن تشغل مساحة كان يجب ألا تتركها المعارضة السياسيّة خاوية مهما كان السبب. هكذا، يسهل أن يرتفع صوت خطاب طائفي مقيت يرسّخ فرضيته في توصيف الأزمة السوريّة على أنها صراع بين علويين وسنّة، بدل أن تكون انتفاضة شعبيّة ضد سلطة مستبدّة فاشيّة، ويتمفصل هذا الخطاب، للأسف الشديد، مع خيارات تبحث عن ساحة صراع بين محورين إقليميين، دول الخليج من جهة وإيران من جهة أخرى، يشكّل الخطاب المذهبي والطائفي جزءاً من عقيدتهما السياسيّة. هذا الخطاب، الذي لا يعرف التعبير عن نفسه إلا بصوتٍ عالٍ وعقلانيّة منخفضة، بجانب سهولة بالغة في اللجوء للشتم والتخوين والمزايدة، يستوجب المقارعة والمقاومة كمفرز من مفرزات الاستبداد السياسي أساساً، ويخطئ من يفصل بين الشأنين أو يضع أولويّة مقاومة أحدهما قبل إيقاف الآخر عند حدّه. كلاهما، تفتيت المجتمع طائفياً باستخدام العنف والاستبداد السياسي الفاشي، وجهان لعملةٍ واحدة لا تشتري إلا عذاباً، كائنان سرطانيّان يتغذى أحدهما من الآخر، وتجفيفهما مهمة وطنيّة.

في الواقع، تحمل العودة إلى الأيام الأولى للانتفاضة الشعبية بعض العناصر التي يمكن استخدامها في مقارعة الاستبداد وإفشال خطاب التكسير الشاقولي لبنيان المجتمع السوري في آن معاً، ليس فقط بالعودة إلى شعار «الشعب السوري واحد» الذي لازم، ويلازم، مظاهرات الانتفاضة في كافة أرجاء الجغرافيا السوريّة، وإنما بالتمسّك بتعريف الانتفاضة السورية كـ «انتفاضة فقراء»، بأوسع تعاريف الانتفاضة وأوسع تعاريف الفقر. نواجه، فعلياً، نظاماً قامت عقيدته في الحكم، على مدى كل العقود التي هيمن فيها على البلاد وما ومن عليها، على الإفقار: الإفقار اقتصادياً بضرب الاقتصاد الوطني وتحويله إلى شبكةٍ علاقات سلطوية فاسدة تقتات، على هامشها، طبقات وسطى ودنيا تزداد فقراً كلما تجمّع المزيد من التكتّل الاقتصادي للبلد بيد نخبة الفساد والاستبداد، نخبة متنوّعة طائفياً ودينياً ومناطقياً بشكلٍ لا يراه إلا من يرفض، لأسباب إيديولوجيّة تخصّه، أن يراه. الإفقار سياسياً، بخنق الساحة العامة وقتل السياسة والفكر السياسي لصالح الهيمنة الشاملة على الدولة والمجتمع. الإفقار ثقافياً وإعلامياً باختصار اثنين من أسس المجتمع والدولة المعاصرتين إلى أدوات، كوميديّة في مأساويتها، مسخّرة فقط وفقط لعبادة الفرد الحاكم وتقديسه. الإفقار وطنياً بتقزيم الكيان الوطني الشامل وتحجيم الدولة إلى النظام والنظام إلى الفرد كممثل لطبقة حاكمة، سياسياً واقتصادياً وأمنياً، هي أعلى من الدولة وأعلى من المجتمع، ومحقّ لها أن تستخدمهما كما تريد، وبتهشيم الهويّة الوطنية لتكون، بدلاً من مظلّة يتسع ما تحتها لكل الاختلافات الأهليّة، الدينية والعرقيّة والمناطقيّة والقبليّة، عبارة عن اسم آخر للولاء الأعمى للفرد ومن حوله من الطبقة المعصومة.

إنها ثورة فقراء ضد نظام إفقاري. والفقراء، كما الفقر، ليسوا ديناً ولا طائفة، بل طبقة تعاني من الاستبداد ومفرزاته. النظام الإفقاري، ككل هلوسة شموليّة عمياء تبحث عن التأبيد في السلطة المطلقة، لا أخلاق ولا عقلانيّة تمنعانه من الدفاع عن استمراره في الحكم، حتى لو مرّ هذا الدفاع عن طريق اللعب على أوتار تمزيق المجتمع عمودياً وبناء حدودٍ من العنف والكراهية بين أجزائه. هذه الحدود، إن قامت، قد تكون أسساً لاستمراره وإعادة إنتاج نفسه.

نحتاجُ، بعد عام من أول «الشعب السوري ما بينذل» إلى إعادة تعريف الذلّ بدلالة الفقر المضخوخ استبدادياً، الفقر الاقتصادي والسياسي والثقافي والوطني. نحتاج لضرب من خطاب الصراع الطبقي يساعد في إقناع فقراء جميع الطوائف والأديان بأنهم ليسوا أعداء بعضهم البعض، بل أن عدوهم هو الاستبداد الذي جعل من فقرهم وقوداً لسطوته ولسلطته. هكذا، إن استطعنا بناء هذا الخطاب ونشره وترسيخه ووضع الأسس السياسيّة المنهجيّة للعمل به، لن يدافع فقيرٌ عن نظام إفقاري لأنه يخاف على نفسه ووجوده من فقير آخر، بل أن الفقر، هذا الفقر، سيكون خطاباً مؤسساً لوحدةٍ وطنيّة، جامعة، ومن طراز جديد.

الطريق صعب وطويل، وما زال هناك الكثير من الألم والدّم بانتظارنا، لكن الأمل أكبر، التضحيات تستحق أملاً نعمل بكل جهودنا على تحقيقه. الغد، كما سوريا، لنا جميعاً..

موقع صباح سوريا 25 / 3 / 2012

عيد الفصح المجيد

درب الآلام.. بوابة لعودة البشرية إلى قدسيتها

■ ياسر مرزوق

يتزامن صدور عددنا اليوم مع قيامة السيد المسيح، القيامة التي أنزلت الألوهة إلى المحيط البشري وجعلت الضعف الإنساني ودرب الآلام بوابةً لعودة البشرية إلى قدسيتها ومحت الحدود غير المتناهية بين الخالق والمخلوق، وعن بولس الرسول ننقل: " إذا لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا إيمانكم " وليعذرني القارئ لمساسي بقدسية الصلب والقيامة ومقاربتها مع ما يعيشه وطننا منذ عام وأكثر، فدرب الآلام والقيامة كما نفهمها ليست واقعة تاريخية مرت كما مر غيرها، بل هي منهج وطريقة حياة للبشرية بأسرها، والقيامة واقعٌ متجدد نعيشه على المستويين الخاص والعام، وهي استمرارٌ للسنة الإلهية بالفداء والخلاص وأسرار الإيمان، وعن انجيل يوحنا ننقل " هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية "، اخترت اليوم موضوع الفصح كدعوةٍ للمؤمنين بالقيامة للتمثل بها، ودعوة غير المؤمنين للتمثل بها أيضاً كنهجٍ فلسفي وأخلاقي غير وجه الإنسانية.

منذ انطلاق الثورة السورية المجيدة والشعب السوري يقدم الفداء غالي الثمن، ويستبدل تقديم الذبائح غير العاقلة بالذبيحة الإلهية، كل يوم نلمح بيلاطس ويهوذا والجلجلة ودروب الآلام التي يمشيها وطننا، حتى تحضر أمامنا يومياً عبارة "كازانتزاكس" الأخيرة في روايته المسيح يصلب من جديد "لا جدوى يا يسوع " ليصير الأمل سراباً كأننا نقبض الريح لكن الملاحم التي سطرها السوريون عبر عام ونيف كفيلةٌ بأن لا تتركنا نتردى في وهدة اليأس المطبق الأسود، بل ثمة أملٌ، قد يكون عسيراً بعيد المنال ولكنه قائمٌ على أية حال، وعلى قوى الخير أن تتضافر ابتغاء هزيمة قوى الشر المتمكنة. فالصليب هو عبء الحياة الذي يثقل كاهل الإنسان، يحمله ويرتقي الجبل الوعر سعياً وراء الخلاص، إنه صخرة "سيزيف "، والصلب انتصار قوى الشر، وقيامة المسيح انتصارٌ لقوى الخير، و أملٌ دائم قد يكون بعيداً ودونه أهوال ولكنه قائم، وعلى السوريين أن يحملوا صليبهم على كتفهم، ويتخذوا الطريق الوعر، الطريق الصاعد حيث يكون الخلاص، ولا خلاص بغير نضال. نضال الإنسان الحر المتمرد، الحر إزاء نفسه وإزاء الوجود، المتمرد على نفسه وعلى الوجود رغم العدم.

تهنئةٌ للسوريين جميعاً بالقيامة تهنئة مؤجلة نتبادلها يوم قيامة وطننا الغالي، أما التهنئة بقيامة المسيح فمؤجلةٌ أيضاً التزاماً بما أعلنه مجلس أساقفة الكنائس المسيحية في دمشق، يوم الثلاثاء، بأن احتفالات أعياد الفصح ستقتصر على الصلوات والطقوس الدينية فقط وذلك نظراً لما تمر به سورية وإكراماً لأرواح الشهداء والضحايا الأبرار.

وقال المجلس، في بيان له، بحسب وكالة الأنباء الرسمية (سانا) إن "احتفالات أعياد الفصح ستقتصر على الصلوات والطقوس الدينية في الكنائس فقط وذلك نظراً للظروف الاستثنائية التي تمر بها سورية وإكراما لأرواح الشهداء والضحايا الأبرار الذين قضوا في الأحداث الأليمة وتعبيراً عن وحدة أبناء الشعب السوري الأبي وترسيخا للحمة الوطنية". وتمنى المجلس في بيانه أن "يعم الأمن والسلام سورية الحبيبة وأن يعود هذا العيد المبارك عليها بأجمعها بالخير واليمن والبركات".

كل سنة نقيم ذكرى لحادثة القيامة ونسعى إلى معناها. الحادثة أن يسوع الناصري قام من بين الأموات وتغلب على الموت بحسب منطوق النشيد الفصحي في كنيستنا "ووطئ الموت بالموت". أما الحادثة فقد اهتم لتبيانها الذين كتبوا العهد الجديد بسبب صعوبة تصديقها وبسبب اعتبارهم أنها أساس الإيمان المسيحي. فإن لم تكن لا يكون الإيمان وتكون البشارة بالمسيح كلها باطلة. المسألة أن القيامة واقعة ولكن يجب إثباتها كواقعة. هذا من جهة ومن جهة ثانية هي صُلب الإيمان. عندنا إذا وجهان لهذه القضية. الوجه الأول شهادة الشهود لظهورات المسيح والوجه الثاني اليقين بالإيمان. أما ان الأمر هو لب الإيمان المسيحي فيأخذ به بولس الرسول لأنه أول من كتب في المسيحية بمعنى أن هذه القيامة التي علم عنها إنما أخذها من الأوائل ولم يفرّق بين الحادثة ومعناها ووضع لاهوتا يختزل بهذه الكلمات: "إن كان المسيح يُكرز به انه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم ليس قيامة أموات". ما يدعم إذا الاعتقاد بالقيامة قول الرسول "دُفن وقام في اليوم الثالث كما جاء في الكتب، وانه ظهر لبطرس ثم للرسل الإثني عشر، ثم ظهر لأكثر من خمس مئة أخ معاً لا يزال معظمهم حياً وبعضهم مات، ثم ظهر ليعقوب، ثم لجميع الرسل حتى ظهر لي آخراً أنا أيضاً كأني سقط". إلى هذا الإيضاح، عندنا شهود عيان لموته وبقوا شهوداً عياناً لظهوراته من بعد القيامة بمعنى أنهم عرفوا أن هذا الذي تراءى لهم هو إياه الذي عُلق على الخشبة وهؤلاء هم مريم المجدلية، وحاملات الطيب، وسمعان بطرس، وتلميذا عمواس، والرسل المجتمعون في غياب توما ثم في حضوره، وبعض الرسل على بحيرة طبرية، والرسل في الجليل، وإليهم أيضاً عند صعوده إلى السماء. وهذه الظهورات هي إحدى عشرة نقرأ عن واحدة منها كل أحد في الكنيسة الأرثوذكسية. سرد هذه الظهورات يدل على الروح النقدية عند الرسل. وظاهر لي في هذا السرد أن الرسل كانوا متحررين من كل عقلية شعبية متهوّرة. كانوا بعيدين عن كل تصديق متسرع متهيّج. ان رفض توما في البداءة للقيامة يدل على انه كان على روح نقدية كبيرة وأنه لم يؤخذ بكلام التلاميذ. في الأسبوع اللاحق تراءى لهم ومعهم توما.

غير أن العيد لا ينحصر في أن يكون خروج الناصري من القبر وهو مغارة وليس حفرة ترابية. العيد تعبير عن كل الخلاص الذي أوتيناه منذ تجسد ابن الله وبخاصة الذي نلناه من الصليب. فقبل لحظة الصلب قال يسوع "قد أكمل" أي إني أتممت ما كلفني الأب إياه وحققت كل كلمة من الأنبياء. ولنا نحن أن نفهم أن كل جليل وطاهر وحق من بعد يسوع إنما نحن مدينون به له أي أن كمال الفكر والنتاج العقلي والفنّي وانتصار الإنسان المظلوم كلها استمدّت إلهامها من حياة يسوع وأقواله. من هذه الزاوية نرجو في هذا اليوم قيامة من التعب الشخصي والسقوط ونطلب التطلعات إلى السماء. من ناحية العقيدة عندنا بالفصح وعد أننا سنقوم في اليوم الأخير. لقد ظهر في المسيح كمال الله. قيامة المخلّص تُنبئنا بأن دعوة يسوع لنا أن "كونوا كاملين". العيد هو الخلاص من كل أنواع الموت في حياتنا الشخصية وحياة الذين حولنا ومن نخدمهم. هو حدث مستمر فينا إلى أن ينتهي الدهر. ولذلك يمتد عيد القيامة من يوم الجمعة العظيم إلى صباح العيد. هذه الثلاثية إذا دخلت إلينا بقوة كل يوم فيها نكون قد أقمنا العيد ووعدنا بأن كل أيام حياتنا تكون فصحاً أبدياً. الفرح عندنا مؤسّس في انتصار يسوع ولسنا نستقبل بهجةً في هذا اليوم وحزناً في ذاك. "افرحوا أيضاً في كل حين وأيضاً أقول افرحوا". لذلك إذا قال بعض الناس إننا نتألم مع المسيح لا نريد أن وجع الجسد أو النفس أفضل من السلامة. لنا أن نتقبّل الآلام على أنها أحيانا وجه من وجوه السلامة الداخلية. إذا كانت السماء في الأخير هي انتصارنا على الخطيئة والموت فنحن فيها، وإذا انسكبت السماء علينا في حياتنا اليومية فنكون قوماً فصحيين، ولنا أن نُنشد عند ذاك: "المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت". لذلك لا حقيقة في ما قيل لي يوماً: "المسيحية ديانة مأسويّة". قلت لهذا الذي كلّمني بهذا الكلام: المأساة بمعناه اليوناني أن تكون سجين غرفة مغلقة. نحن على الأقل ليس فوقنا سقف. ليس فوق رؤوسنا إلا السقف السماوي. نحن خرجنا من كل السجون إلى "حرية أبناء الله". لذلك نحت أحد قديسينا مؤخراً تحية كان يقولها لكل صديق التقاه: "يا فرحي، المسيح قام". هذه كلمة أسلّم بها على كل من قرأني بين اليوم والغد حتى يزول الحزن عن هذا الوجود. سوف نعرض في ملفنا اليوم للفصحين اليهودي والمسيحي مع استعراض موجز لمعاني التقاليد المسيحية في الفصح.

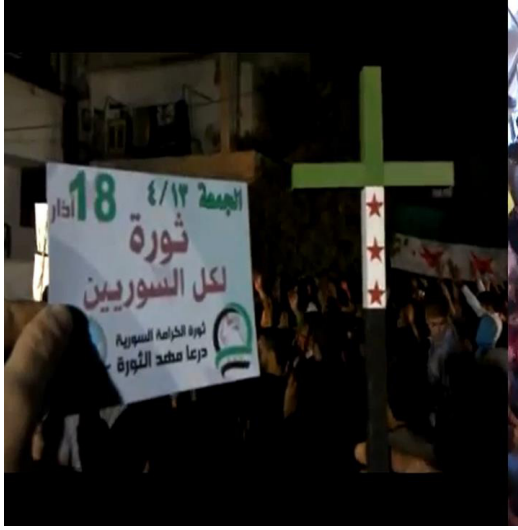

الفصح اليهودي

إن عيد خروج بني إسرائيل من مصر القديمة يسمى عيد الفصح "العبري" وعيد الفطير في التوراة. هذا العيد هو الحج في فصل الربيع، وكبقية أعياد الحج الأخرى، فلقد أصبح يتم في البيت وفي الكنس بعد تدمير البيت المقدس. السبب الأهم والأساسي لهذا العيد هو إنقاذ المولى تعالى بني إسرائيل من العبودية المصرية القديمة كما يذكر سفر التثنية ذلك "١٦: ١-٤ ترجمة كتاب الحياة": "احْتَفِلُوا دَائِماً بِفِصْحِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ فِي شَهْرِ أَبِيبَ (أَيْ شَهْرِ نِيسَانَ)، فَفِي هَذَا الشَّهْرِ أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ مِصْرَ لَيْلاً ٢ وَاذْبَحُوا لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ غَنَماً أَوْ بَقَراً فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ لِيُحِلَّ اسْمَهُ فِيهِ لاَ تَأْكُلُوهُ مَعَ خُبْزٍ مُخْتَمِرٍ، بَلْ كُلُوهُ مَعَ فَطِيرٍ طِوَالَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، لأَنَّ هَذَا هُوَ خُبْزُ الْمَشَقَّةِ، إِذْ إِنَّكُمْ عَلَى عَجَلٍ غَادَرْتُمْ دِيَارَ مِصْرَ، وَبِذَلِكَ تَتَذَكَّرُونَ يَوْمَ خُرُوجِكُمْ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكُمْ ٤ لاَ تُبْقُوا خَمِيراً فِي أَرْضِكُمْ طِوَالَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَلاَ يَبِتْ شَيْءٌ مِنْ لَحْمِ ذَبِيحَةِ الْفِصْحِ الَّذِي ذُبِحَ فِي مَسَاءِ الْيَوْمِ الأَوَّلِ إِلَى الْغَدِ]

يستمر عيد الفصح اليهودي أسبوعا كاملا، لكن الوقوف عن كل العمل خلال الفترة كلها ليس إجباريا. فالوقوف عن العمل ليس مطلوبا إلا في اليوم الأول وفي اليوم الأخير من العيد، إن أبرز ظاهرة في عيد الفصح هي وجوب إخلاء البيت من كل خمير. لا يُسمح إلا بأكل خبز الفطير. يُصنع الفطير من دقيق القمح ويعجن بدون إضافة الخميرة تحت مراقبة صارمة وبسرعة لضمان ألا يتم التخمير الطبيعي الذي يحدث عندما يضاف الماء إلى الدقيق قبل خبزه. تفسّر التوراة سبب أكل الفطير (الخروج ١٢: ٣٩ ترجمة كتاب الحياة): [ثُمَّ خَبَزُوا الْعَجِينَ الَّذِي أَخْرَجُوهُ مَعَهُمْ مِنْ مِصْرَ خُبْزَ مَلَّةٍ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُخْتَمِراً، إِذْ أَنَّهُمْ طُرِدُوا مِنْ مِصْرَ وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَتَأَخَّرُوا فَمَا أَعَدُّوا لأَنْفُسِهِمْ زَاداً]

على كل فرد يهودي سواء كان غنيا أو فقيرا أن يشعر بطعم الحرّية وكأنه خرج من عبودية المصريين القدامى «كتاب التثنية» باب مواسم شرائع "خميرة وفطير" ٦:٧. وبالرغم من أنه يجب على الإنسان أن يتبرع بالمال للفقراء طوال العام ولكن قبل العيد الفصح "اليهودي" يجب أن تقدم المساعدات والحسنات المادية للفقراء والمحتاجين ليعيّدوا وليشعروا بلذة العيد وبأنهم تحرروا من العبودية.

عندما كان البيت المقدس قائماً " وبحسب الرواية التوراتية "، كان الحجاج من بني إسرائيل يأكلون لحم الفصح مع الفطير والأعشاب مرةً في مدينة أورشليم لأنه قيل في التوراة "فَتَأْكُلُوا [الْفِصْحَ] مَعَ فَطِيرٍ وَأَعْشَابٍ مُرَّةٍ" "سفر العدد ٩: ١١ ترجمة كتاب الحياة". وأيضاً أوصت التوراة أن يُشوى هذا الذبح بالنار في هذه الليلة "الخروج ١٢: ٩ ترجمة كتاب الحياة" "لاَ تَأْكُلُوا مِنْهُ نِيئاً أَوْ مَسْلُوقاً، بَلْ مَشْوِيّاً بِنَارٍ، رَأْسَهُ مَعَ أَكَارِعِهِ وَجَوْفِهِ".

لقد ورد في التوراة بعد الأمر بالاحتفال بالفصح "ترجمة كتاب الحياة الخروج ١٣: ١٤" "وَحِينَ يَسْأَلُكَ ابْنُكَ فِي الأَيَّامِ الْمُقْبِلَةِ: مَا مَعْنَى هَذَا؟ تُجِيبُهُ: إِنَّهُ بِيَدٍ قَدِيرَةٍ أَخْرَجَنَا الرَّبُّ مِنْ دِيَارِ الْعُبُودِيَّةِ". وكذلك يقول: "فِي كُلِّ اللَّيَالِي نَغْمِسُ مَرَّةً وَاحِدَةً وَفِي اللَّيْلَةِ هذه مَرَّتَيْنِ. في كل الليالي نَأْكُلُ خميراً أَوْ فَطِيراً وَفِي اللَّيْلَةِ هذه كُلُّهُ فَطِيرٌ". "بالمعنى نأكل فطيراً فقط. " فِي كُلِّ اللَّيَالِي نَأْكُلُ وَنَشْرَبُ أَيْدَانَا جَالِسِينَ وَأَيْدَانَا مُضْطَجِعِينَ وَفِي اللَّيْلَةِ هذه كُلَّنَا مُضْطَجِعُونَ.

كما هو الحال دائماً، بعد أن ينتهي تناول الطعام يغسلون أيديهم بالماء ويشكرون الرب تعالى على رزقه. في نهاية الطقوس يقرؤون بفرح ولهفة بعض المزامير والتسابيح ليعبروا عن شكرهم الكبير للمولى تعالى على كل فضائله وعجائبه التي فعلها لآبائهم ولهم.

عيد الفصح المسيحي

عيد القيامة، وكذلك يُعرف بباسكا "Pascha" "باليونانية Πάσχα: عيد الفصح"، عيد القيامة أو أحد القيامة أو يوم القيامة. يعتبر أهم الأعياد الدينية في الليتورجيا "الطقس الديني" المسيحية، ويكون بين أواخر إذار وأواخر نيسان " أوائل نيسان إلى أوائل مايو عند المسيحيين الشرقيين".

يتم الاحتفال بقيامة المسيح من بين الأموات وهذا ما يؤمن به أتباعه بعدما مات المسيح على الصليب في سنة 27-33 بعد الميلاد. في الكنيسة الكاثوليكية يكون الاحتفال بعيد القيامة لمدة ثمانية أيام ويسمى باليوم الثامن بعد احتفال الكنيسة "Octave of Easter". يشير عيد القيامة إلى فصل في التقويم الكنسي ويدوم لمدة خمسين يوماً حيث يبدأ من أحد القيامة إلى عيد حلول الروح القدس.

في الكثير من لغات المجتمعات المسيحية، غير اللغات الإنكليزية والألمانية والسلافية. أن اسم هذا الاحتفال الديني مشتق من بيساك "pesach"، أي الاسم العبري لعيد الفصح، الذي هو عيد اليهود، حيث يوجد ربط بين عيد الفصح وعيد القيامة. هناك رابط بين عيد القيامة وعيد الفصح اليهودي، ليس فقط في بعض من معانيه الرمزية ولكن أيضاً في موقعه في التقويم، حيث أن العشاء الأخير الذي قام به السيد المسيح مع تلاميذه قبل صلبه يمثل عشاء الفصح حسب ما ذكر في الأناجيل الإزائية الثلاثة في العهد الجديد من الكتاب المقدس "متى، مرقس، لوقا". ويختلف إنجيل يوحنا في أحداثه الزمنية حيث يكون وقت ذبح الحملان لعيد الفصح هو عند موت المسيح، ومن الممكن أن يكون هذا الاختلاف لأسباب لاهوتية. ولكن يعتبر بعض الدارسين أن لها ارتباط تأريخي بذكر الأحداث التي كانت تجري. هذا ما يضع العشاء الأخير قبل حدوث عيد الفصح بقليل، أي في الرابع عشر من شهر نيسان حسب الموسوعة الكاثوليكية "إن عيد القيامة عند المسيحيين هو بمثابة عيد الفصح عند اليهود". في اللغة الانكليزية والالمانية لم تُشتق كلمة عيد القيامة "Easter" و"Ostern" من بيساك "pesach"، ولكن هذه الاسماء تدل على الاسم القديم لشهر نيسان" Eostremonat، Ostaramanoth. "

عيد القيامة في أيام الكنيسة الأولى:

يُعتقد أن أي عيد خلال السنة المسيحية قد تم وضعه من أيام الكنيسة الأولى. عدد من المؤرخين "الكنسيين" إضافة إلى تقليد الرسول يوحنا المبشر ناقشوا مايعرف بـ"Quartodecimanism"، هذا المصطلح مُشتق من اللغة اللاتينية ومعناه الرقم 14. لذلك ناقشوا احتمالية تثبيت تأريخ إقامة الفصح عند المسيحيين في الرابع عشر من نيسان، أي حسب التقويم العبري في العهد القديم من الكتاب المقدس. في أي من الأحوال تؤمن الكنيسة بأن العشاء الرباني الذي أقامه المسيح مع التلاميذ هو تقليد يُعمل به من أيام الرسل. حسب إنجيل يوحنا المبشر أن العشاء الأخير كان يوم الجمعة أي في اليوم الذي صُلب فيه المسيح في أورشليم. وبعض من الأساقفة الأوائل رفضوا مبدأ الاحتفال بعيد القيامة في الأحد الأول بعد الرابع عشر من نيسان. وبالتالي أصبح الاحتفال بعيد القيامة في الرابع عشر من نيسان - الذي كان يُقام في كنائس آسيا - غير متداول بين الكنائس.

تأريخ عيد القيامة:

يقع عيد القيامة دائماً عند المسيحيين الغربيين في الأحد من 22 آذار إلى 25 نيسان، واليوم الذي بعده أي الاثنين يعتبر يوم عطلة رسمية في الكثير من البلدان. حسب الكنيسة الشرقية يقع عيد القيامة بين 4 نيسان و 8 أيار بين سنة 1900 إلى 2100 حسب التقويم الجورجي "Gregorian date". يعتبر عيد القيامة والأعياد المرتبطة به أعياد متغيرة التواريخ حسب التقويم الجورجي أو التقويم القيصري "Julian" - التي تتعقب حركة الشمس والفصول، وبالتالي تم فصل الاحتفال اليهودي بعيد الفصح عن احتفال المسيحيين بعيد القيامة.

مشاهدات دينية عن عيد القيامة

عند المسيحيين الغربيين:

هناك عدة طرق للاحتفال بعيد القيامة عند المسيحيين الغربيين، من حيث الاحتفال الكنسي "الليتورجي" في عيد القيامة، نرى بأن الرومان الكاثوليك واللوثريين يحتفلون بقيامة المسيح في ليلة سبت النور. في أهم احتفالية كنسية من السنة كلها تبدأ في الظلام وحول لهب النار الفصحية المقدسة، حيث يتم إشعال شمعة كبيرة تدل على قيامة المسيح، وإنشاد الترانيم. بعد ذلك يتم قراءة أجزاء من العهد القديم من الكتاب المقدس: "قراءة من قصة الخلق وتضحية اسحق وعبور البحر الأحمر والتنبؤ بقدوم المسيح. يليه ترنيم الهليلويا وقراءة إنجيل القيامة، تلي الموعظة قراءة الانجيل. قديماً كان يُعد وقت عيد القيامة من أهم الأوقات التي يكون تلقي المعمودية للناس الجدد الذين ينضمون للكنيسة، وحتى يومنا هذا تقوم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بهذا الطقس. سواء كان هناك أشخاص للعماد أم لا، لكن هذا التقليد هو لتجديد مواعيد المعمودية. ويُحتفل بسر التثبيت أيضاً في ليلة سبت النور. ينتهي احتفال سبت النور بذبيحة القربان المقدس. وممكن ملاحظة بعض الاختلافات بالطقس الديني: بعض من الكنائس تقرأ من العهد القديم قبل أن توقد الشمعة الفصحية ويتم قراءة الإنجيل بعد الترانيم مباشرة. و بعض الكنائس تفضل الاحتفال بعيد القيامة في صباح الأحد وليس في ليلة السبت، "وهو الحاصل في الكنائس البروتستانتية، حيث إن النساء ذهبوا إلى قبر المسيح في فجر الأحد وكان المسيح قد قام، ويُقام هذا الاحتفال عادة في ساحة الكنيسة".

عند المسيحيين الشرقيين:

يُعتبر عيد القيامة من أهم الاحتفالات الدينية عند الشرقيين. وأي احتفال في التقويم حتى الاحتفال بعيد ميلاد السيد المسيح يُعتبر عيد ثانوي مقارنة بعيد قيامة السيد المسيح. نرى ذلك في البلدان الذي يشكل الأرثوذكس النسبة الغالبة من سكانها. لكن هذا لا يعني بأن الأعياد والاحتفالات الأخرى هي غير مهمة، على العكس بل إن الأعياد تعتبر تمهيدية لتصل إلى عيد القيامة. إن عيد القيامة هو تحقيق رسالة المسيح على الأرض، لهذا يتم ترنيم هذه الكلمات:

"المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور".

يقوم الأرثوذكس إضافة إلى الصوم وإعطاء الصدقات والصلاة في زمن الصوم الكبير بالتقليل من الأشياء الترفيهية والغير مهمة، و يتم الاحتفال حوالي الساعة 11 مساءاً من ليلة سبت النور. واليوم التالي لا يوجد ليتورجيا "طقس ديني" لأنه تم الاحتفال به ليلاً.

جمعة كل السوريين

■ خالد كنفاني

"ها قد انتصرنا، وستتم تسمية الجمعة القادمة بجمعة ثورة لكل السوريين"

الكلام أعلاه لأحد الثوار الافتراضيين في صفحته على الفيس بوك، ويبدو أن مسألة تسمية الجمع باتت تأخذ حيزا مهما من وقت وتفكير هؤلاء الناشطين نظرا لأن اختلاف اسم الجمعة قد يغير في المواقف الدولية المتخاذلة شيئاً أو أن النظام سيفاجئ بهذه التسميات ويعود إلى رشده ويترك السوريين بحالهم يتظاهرون بكل حرية وأمان!

لا يخفى الكثير من الثوار أو الضحايا في داخل سوريا استياءهم وأحيانا غضبهم من الكم المتزايد من التنظيرات والمزايدات والمهاترات التي يتبادلها الثوار "المرتاحون" على حد تعبير أحد أهالي حمص. وبلغ الأمر بأحد الفاعلين على الأرض أن اقترح إلغاء تسميات الجمعة هذه لفقدانها محتواها ومعناها بعد أن بلغ القتل والدمار حدا يفوق التصور ويتجاوز بمراحل هذا الترف الفكري الذي يعيشه أولئك في الخارج.

كان الكثيرون من ناشطي الخارج أنفسهم يتصدون لأي محاولة لنقد الثورة ولو بالتلميح، غير أنهم فوجئوا بأن البساط سحب من تحتهم لمصلحة من هم على الأرض وأن الفجوة بينهم وبين من يواجه الرصاص والقتل تزيد يوما بعد يوم، وهكذا أفاقوا وقد انتشرت الثورة كالنار في الهشيم بينما هم لا يزالون في مهاتراتهم وحواراتهم الافتراضية المترفة لا يقدمون ولا يؤخرون، والأنكى فإن الكثيرين لا يخفون سعادتهم بتعليقات "المناصرين" و"المباركين" وال"مشجعين" لأقوالهم الصاروخية والنضالية، وكأننا نعيد إنتاج زمن تقديس الفرد ولكن بشكل الكتروني هذه المرة.

كل ثورة تعبر عن مكنونات أصحابها، وهي تصبح مناسبة لأن يعبر الناس بحرية عما افتقدوه سنين طويلة، ولهذا انفجرت فوضى الشعارات والكتابات الجدارية في تعبير عن التوق للحرية والتنفيس عما في الصدور والقلوب، وهي فوضى خلاقة وذات دلالة في آن معا، ولهذا كان التنبيه منذ البدايات إلى أن كثيرا من الشعارات والتسميات الدينية بدأت تأخذ طريقها إلى أفواه ولوحات المتظاهرين، ولكنه لم يكن تنبيها على سبيل المنع أو الإلغاء ولكن على سبيل لفت النظر إلى التوجهات الشعبية بمختلف أطيافها، كما أن الحديث عن الوحدة الوطنية و"انعدام" الطائفية كان يدور في أوساط النخب الثقافية والفكرية فقط، أما على المستوى الشعبي فقد كان الوضع مختلفاً تماما، ونحن هنا لا ننكر وجود بعض الأمثلة المشرقة لأناس قاموا ببطولات أو إنقاذ أو إغاثة لآخرين من طائفة أو مدينة أخرى فهذه الأمثلة حقيقية، ولكننا نتحدث بالمجمل هنا، وعلى الجميع أن يفهم أن هذه الثورة تبغي إلى التحرر من الاستبداد وفرض الرأي، ولهذا قال أحد المعلقين على كلام ناشطة "فيسبوكية" عندما انتقدت تسمية الجمعة الماضية: "عليك أن تقتربي من صوت الجماهير لا أن تعملي لتقريب الجماهير إلى صوتك"، وهو قول في مكانه ويدل على أن اختبار الرأي الآخر وفهمه اختبار صعب ولن ينجح فيه إلا الشجعان.

نسوق كل هذا الكلام للتعبير عن الغضب الشديد الذي يعتمل في نفوس الكثيرين من السوريين داخل "جدران" الوطن، فهم باتوا يحسدون كل أولئك "الناشطين" الذين خرجوا من سوريا سواء عبر الأسلاك الشائكة أو عبر الحدود لأنهم ينعمون بتمويل وأمان وراحة رغم كل ادعاءاتهم بعكس ذلك بل وتباكي بعضهم على "التشرد" وترك القرية والحارة، ونحن إذ نستثني هنا بعضا من المناضلين والمعتقلين السابقين الذين ذاقوا مرارة التعذيب والهوان داخل المعتقلات حين كان "الآخرون" يعيشون حياتهم الطبيعية خارج أو داخل سوريا، غير أننا لا ننكر أن الكثيرين اليوم من "وجوه" هذه الثورة ليست لهم أية علاقة لا من بعيد ولا من قريب بالنضال أو الثورة أو السجون أو حتى مجرد المعارضة، حتى أن عددا لا بأس به منهم كان في مراكز مسؤولية عسكرية أو مدنية داخل النظام مثلما أن غيرهم استفاد من "بركات" النظام سواء في إنشاء المؤسسات أو إصدار الصحف والمجلات. يرفض السوريون اليوم من يلتحق بركب موجتهم ليصرخ فيهم "هيا، إلى الأمام، تقدموا، أحسنتم" وكأنهم مشجعون في مباراة لكرة القدم.

يمارس الكثيرون من ثوار "الديجيتال" اليوم أخطاء كبيرة بحق الثورة عندما يرفعونها إلى مرتبة التقديس أو عندما يرسلون "بتوجيهاتهم" إلى الثوار وكأنهم يملكون من قيادتهم أو أمرهم شيئا. وفي هذا السياق يبادر هؤلاء مثلا إلى إثبات أن أي فيديو "يسيء" للثورة مفبرك من قبل النظام، ونحن هنا لا نبرئ النظام من هذه الفعلة وغيرها فهو أشرس من ذلك أساساً، ولكننا علينا أن نرى أخطاءنا وننبه لها حتى لا ننجو من فرع أمني للنظام لنسقط في فرع أمني "ثوري"، ورغم أن الكثيرين يرون اليوم أن هذه الأمور تضعف الثورة وأن التصويب والتصحيح يجب أن يحصل لاحقا، إلا أننا نرى أن التغافل عن هذه الأفعال سيضر بالثورة ليس عالمياً وحسب بل وداخلياً أيضاً لأنه سيؤدي إلى المزيد من الخوف والتردد لدى الصامتين وسيشعل نار الانتقام والتشفي لدى الثائرين كما أنه يزيد من همجية النظام الذي لا يحتاج حجة لارتكاب المزيد من المجازر والاعتقالات بحق المواطنين.

عندما انتهت الثورة في مصر تنبأ الجميع بفوز الإسلاميين بحكم البلد، بينما راهن كثيرون على "وعي" المواطنين بوحدتهم الوطنية وانتمائهم، غير أن صندوق الاقتراع قال شيئاً آخر. ولما شهد الجميع بنزاهة الانتخابات المصرية، فقد قبلوا النتيجة برحابة صدر ولم يخرج من يقول "هذه ليست دولة إسلامية"، فالإخوان المسلمون أنفسهم لم يقولوا برفع المواطنة عن المسيحيين أو غيرهم، ولهذا على كل الثوار الافتراضيين أن يفهموا أن ما يفعلونه اليوم من ضغط لتغيير اسم جمعة أو شعار مظاهرة هو مسألة مؤقتة ومستترة، ولكنهم يرون الأمور من منظارهم البعيد عن أعماق المجتمع الحقيقي، أو من منظار نخب الفنادق والمؤتمرات والمداخلات التلفزيونية، وهو منظار لا يعطي الرؤية الصحيحة ولا المعبرة عن نبض الشارع الحقيقي.

ليست هذه المقالة دفاعاً عن توجه ما كما أنها ليست هجوماً على أحد، وقد سئمنا من هذه التبريرات في كل مرة نذهب لنقد الثورة أو من "يركبها"، ولكن كل ما نبتغيه هو أن يبدأ الجميع بالفهم أن احترام آراء الآخرين مسألة مهمة كما أن احترام الأغلبية هو عين الديمقراطية، أما أن يعمل البعض بمنطق التخوين أو الاتهام مثلما قام بعض الناشطين باتهام "شبيحة" بالتصويت على أسماء الجمع لصالح تيارات أو شعارات معينة، فهم ومن حيث لا يدرون (أو ربما يدرون) يعودون بنا إلى نفس منطق النظام الذي نعارضه اليوم، وهو أن كل فكرة لا تعجبنا هي من صنع أعداء الثورة والوطن وإذا انتصرت فكرتنا فهي الصواب وهي الطريق.

علينا أن ننجح أمام أنفسنا في اختبار قبول الآخر قبل مطالبة الآخرين به، كما يجب التوقف عن العمل بمنطق "اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون"، فإما أن ينزل إلى الميدان من يرى في نفسه الشجاعة، حتى ولو كان ذلك بوقفة سلمية تعبيرية في أحد الشوارع، وإنني أجزم هنا أن الفتيات اللواتي عبرن عن غضبهن من القتل والمطالبة بوطن لكل السوريين هم أشجع وأقوى بألف مرة من كل أولئك القابعين خلف شاشاتهم وبجانب أطفالهم في المقاهي ويناصرون الثورة بألف "لايك" غير ناسين أن يعلمونا بأنهم يدعموننا عبر "البلاك بيري" قرب واشنطن أو باريس!

اعذروا غضبنا أيها السادة فقد طفح الكيل، وأخشى أن تنتقل قنوات المعارضة لتصبح قنوات "دنيا" و"سوريا إخبارية" جديدة تمجد الرموز ولا تقبل النقد ولا المعارضة، ولنا في الثورة الفرنسية عبر كثيرة عندما قتل الثوار بعضهم بعضا بتهم "معاداة الثورة" و"إضعاف نفسية الأمة".

سوريا لكل السوريين، بإرادتهم الحرة وخيارهم الحر، وكما قال سعد زغلول قبل قرابة مائة عام: "الحق فوق القوة، والأمة فوق الحكومة".

عد بي إلى حمص..!!

دمشق ليست هادئة.. لثورتها إيقاع مختلف..

■ آكاسيا العاصي

عندما دخل أبو عمر دمشق الهادئة فراراً من نار القصف الأعمى في حمص بعد اقتحام كتائب النظام بابا عمرو، بكى بحرقة، ولدى وصوله إلى ساحة السبع بحرات شاهد مجموعة من الشباب والصبايا الـ"شبيحة" يرقصون ويهتفون "نحنا رجالك يا بشار" شعر برأسه يدور وكاد أن يفقد الوعي، وقال لصديقه الذي يقله بسيارته: عد بي إلى حمص !!

عبثا حاول الصديق إقناعه بالمكوث ليلة واحدة فقط، ليشرح له الوضع في العاصمة. إلا أن أبو عمر أجابه: في حمص التفاؤل بقرب سقوط النظام يفوق حجم الخراب الذي خلفته جحافل جيوشه، المعنويات هناك عالية جداً، لكن هنا ينعدم الأمل إذ يبدو أن الطريق مازال طويلاً. عد بي إلى حمص أريد الموت شهيداً برصاصة أو قذيفة، لا أريد الموت كمداً وقهراً.

رغبة أبو عمر بالعودة إلى حمص لا تخصه وحده، كثير من الحماصنة راودهم هذا الشعور لدى وصولهم إلى دمشق الساكنة ظاهريا، ولسان حالهم يقول هل نحن فقط نقتل وتدمر بيوتنا!! والناس في دمشق يمارسون حياتهم بشكل اعتيادي يذهبون إلى العمل والسوق والمقهى و.. و.. الخ، وكأن شيئا لا يحصل، وأن الدماء الجارية أنهاراً في حمص وحماه وادلب ودرعا.. محض مياه. وأن الدمار والتنكيل بالبشر والحجر لا يعني سكان العاصمة!!.

هذا النقاش يطغى على أحاديث الحماصنة الوافدين إلى دمشق، ويمكن تفهم مشاعر الإحباط التي تنتاب كل من فرّ من حمص بعد قتل أقاربه وتدمير بيته ونهب ممتلكاته، ومشاهدته بأم عينه مجازر بشعة يندى لها جبين الإنسانية، فمن عاش شهوراً ذاق فيها أمرّ صنوف الظلم والذعر، يتخيل أن بلده يشاركه محنته، إن لم يكن حاله مثله. إذ من الصعب عليه تصديق أن أحداً في العالم أجمع لم يسمع صرخاته، ويطلع على وحشية النظام. فما بال سكان مدينة لا تبعد عنه سوى 160 كم!! لماذا لا يشعر سكان العاصمة بألم أبناء المناطق المنكوبة؟

السؤال يفرض نفسه: هل حقاً تسير الحياة في دمشق بشكل طبيعي واعتيادي؟ فقط من يعيش في العاصمة يعرف ما يجري فيها، فدمشق منذ اليوم الأول لم يهدأ غليان الثورة في شوارعها ومنها انطلقت الشرارات الأولى لنصرة أطفال درعا، ولو أن النظام استخدم الوسائل الوحشية ذاتها التي استخدمها في المناطق الأخرى من درعا إلى ريف دمشق و حمص مروراً بحماه ووصولا إلى إدلب، لسقط النظام في الأشهر الأولى. وهي معادلة يدركها النظام جيداً، فحرص على استخدام الحل الأمني دون العسكري، لقمع المظاهرات في شوارعها التي احتلتها عناصر من الأمن بمختلف تنويعاتهم التنكرية: بائعو بسطات، عمال قمامة، سائقو تاكسي، متسولون... الخ، وتمت استمالة صغار التجار وأصحاب المحلات في الأسواق الرئيسية، بالترغيب أو بالترهيب، وفي كل مدرسة وجامعة ومؤسسة حكومية مدنيون موالون للنظام من حزبيين ومنتفعين للقيام بمهام العواينية والتشبيح معاً، فتارة هم مخبرون يعدون الأنفاس ويبلغون عن كل شاردة وواردة، لإخماد إي تحرك بمجرد بدئه، أو حتى قبل أن يبدأ.. ، وتارة يشاركون الشبيحة في اعتقال الناشطين وملاحقتهم وضربهم. ثم يلعبون دور الكومبارس في مسيرات التأييد "المليونية العفوية"، وأيضاً دور المواطنين "الصالحين" في قنوات الإعلام الرسمي فيشاركون في التمثيلية ويعبرون عن ولائهم المطلق لسوريا الأسد، وتأييدهم لبرنامج الإصلاحات. ورغم أن هؤلاء يحتلون فضاء العاصمة بشكل ظاهر وإلى حد الاختناق، لم يتوقف الحراك الثوري وظلت المظاهرات الطيارة تخرج في المناطق المكتظة وسط المدنية بشكل مباغت جعل قوات الأمن في حالة استنفار كامل، وباصات الشبيحة تجوب الحارات والأحياء على مدار الساعة. مع تمركز الكثير منها في المناطق الرئيسة، عدا نشر الحواجز، وحدّ حركة التدفق من الريف إلى المدينة، لاسيما أيام الجمع. وأيضاً، لم تتوقف النشاطات الثورية للرجل البخاخ، أو رمي المناشير وتوزيع صحف الثورة حتى في الأحياء القريبة من المقرات الأمنية، وكل يوم هناك أخبار جديدة عن أنشطة ثورية سلمية مبتكرة مدهشة تتحايل على القمع وتهزأ بوحشية الأجهزة الأمنية.

كما لا يمكن تجاهل الدور الكبير والهام لشباب الثورة في دمشق في دعم المناطق المنكوبة، فالنصيب الأكبر كان لهم من ناحية تأمين وصول المساعدات ومواد الإغاثة إلى المحتاجين والمشردين عن بيوتهم، واحتملوا ما لا يحتمل من الاعتقالات والملاحقات، فكانوا عن جدارة ظهر الثورة القوي، والحاضن الاجتماعي الأوسع، ظهر هذا بوضوح لدى حصول حركة النزوح الكبيرة من حمص في الشهر الأخير، من خلال التعاون الخفي في استيعاب الأعداد الكبيرة للنازحين والتي قدرت بأكثر من مائة ألف نازح. هذا عدا التعاطف الكبير الذي أبداه المؤيدون للثورة من سكان العاصمة مع النازحين في محنتهم، ترجم إلى تساهل بالأسعار، أو حتى تأمين منازل مجانية، مع أن الأمر لا يخلو من ضعاف نفوس وتجار أزمات.

بالنظر إلى هذه الواقع والذي يدركه النازحون من حمص بعد امتصاص صدمة اللحظة الأولى، لا يمكن القول أن الحياة تسير بشكل طبيعي في العاصمة، بل أنها تسير وفق إيقاع مختلف، يعود ذلك إلى اختلاف الأدوات التي يستخدمها النظام في قمع الثورة. وهنا لا بد من المقارنة بين دمشق والمناطق الساخنة الأخرى، فبينما يمكن لسكان مدينة مثل دوما او حمص.. الخ، أو حي متطرف مثل الميدان أو برزة، عزل العواينية وحد حركتهم، وتخصيص ساحة أو شارع للتظاهر لعدة ساعات بعد تأمين حماية تعيق وصول قوات الأمن والشبيحة، لا يمكن أن يحصل ذلك في حي الصالحية في الوسط التجاري، أو في أي منطقة أخرى قريبة من المركز المحتل بالمقرات الأمنية والمؤسسات التابعة للنظام، كما لا يمكن الوصول إلى الساحات العامة بسبب الكثافة الأمنية، هذا من جانب. ومن جانب آخر، استخدم النظام ومنذ اليوم الأول لانطلاق الثورة في درعا وحمص الرصاص الحي في تفريق المتظاهرين، بينما تأخر الأمر كثيراً في دمشق، مع أنه استخدمها في الميدان وكفرسوسه، لكن بشكل مضبوط مع القنابل المسيلة للدموع والتي لم تستخدم في المناطق الأخرى، إذ كان النظام حريصاً على ألا يوقع عدداً كبيراً من القتلى والجرحى، وعلى ألا يدفع الأوضاع الأمنية للخروج عن نطاق السيطرة، كما جرى في درعا وحمص وحماة وإدلب.... إذ ترك ومنذ الأشهر الأولى عداد الشهداء يصل إلى العشرات يومياً، ليبرر استخدام الآلة العسكرية الثقيلة للقصف عن بعد، وتدمير مناطق كاملة لإنهاك المجتمع الحاضن للثورة، فلا تقوم له قائمة بعد ذلك. لكن ما حصل أن انخراط المجتمع بالحراك اتسع وتعمق مع اتساع دائرة الدم والدمار، وبات صعباً إن لم نقل مستحيلاً إخماد الثورة. وبالتالي تنامى دور العاصمة في الدعم والمساندة بأدوات وأساليب أنتجتها آلة القمع ذاتها، فالمظاهرات الطيارة، ونثر المناشير، وتلوين مياه البحيرات، ورفع أعلام الثورة وقطع الطرقات بالنار، وغيرها من أنشطة خطرة قد لا تعادل حجم مظاهرة حاشدة تخرج في المناطق الثائرة في المحافظات، لكن تأثيرها قد يكون بالغاً من حيث أنها رسالة للنظام تهز قبضته الحديدية وتنذره بأن الثورة تحاصره في قصره.

ولعل وصول المدرعات إلى حي كفرسوسة في دمشق مؤخراً، أحد مؤشرات إفلاس الحلين الأمني والعسكري بتحقيق نتائج ملموسة لصالح النظام، الذي يدرك أن سبب بقائه، هو المعادلة الدولية المعقدة في المنطقة، نظراً لوجود إسرائيل، وليس قوة بطشه أو خبث ذكائه التدميري. كما يجمع الكثيرون على أن أكثر ما يحرج النظام الآن هو تصاعد النشاط الثوري السلمي في قلب العاصمة، ما يضعه أمام خيارات صعبة في استخدام الآلة العسكرية الثقيلة والتي لاشك أن نارها ستصيب معاقله وتسرع في سقوطه، وعلى الأرجح هروبه من هذا الخيار إلى خيار تنشيط بث الرعب بين الأهالي من خلال الاعتقالات وافتعال تفجيرات وحوادث أمنية سبق واستخدمها في دمشق وحلب. والسؤال ترى هل سينجح في ذلك؟ وهل مازال في جعبته خيارات أخرى؟ إجابة يترقبها أبو عمر وكل من وفد نازحاً إلى دمشق على أمل سقوط النظام قريباً. حينها لن يقول: عد بي إلى حمص، بل دعني في قلب العاصمة لأرفع علم الثورة.

حوار مع أحد عناصر الجيش السوري الحر

عندما تأتي الحرية.. ستنتهي حربي

سأترك السلاح وأعود فأنا أمتلك حياة قبل هذه الثورة

■ أجرى الحوار: عروة المقداد

الثـورة ذروة التغيـرات والتحولات في ذات الإنسـان، يتـاح أن يعبر عنها في زمانٍ أو مكانٍ ما بأشـكال وطرق مختلفـة. وفـي أزمنة الثـورة قليلاً مـا تراقـب التغيرات الطارئـة التي رافقت هـذه الثورة. قد لا تُحـدِث الثورة بالضـرورة التغير في ذات الإنسـان، إذ مـن الممكن أن تَمرَ عليه دُون أن تلامسـه وذلك تبعاً لنوع الثورة التي نتحدث عنها. في هذا الحوار، الذي أجريناه مع أحد الجنود المنشـقين المنظم لصفوف الجيش الحر، محاولة للوقف على ما غيرته الثورة فيه كإنسـان. هـي محاولة للولوج إلى العوالم العميقة التـي تكون فيها الثورة جبل الجليد الذي لا يظهر إلا ذروته. التقينا أبو عبيدة في أحد المنازل بعد أن توقف عن القتال في صفوف الجيش الحر، بسـبب ظروف أمنية حالت دون اسـتمراره فـي القتال مع رفاقه، وقد كان هذا الحوار.

| اندلعت الثورة، وقمت بالانشقاق عـن صفـوف الجيـش، وانخرطـت بين صفوف الجيش الحر، حدثني عن شعورك فـي المـرة الأولـى التـي خرجـت فيها إلى الاشـتباك مـع قوات الأمـن، ضمن الظروف السـيئة التي واجهتكم من قلة في الذخيرة وأعـداد المقاتلين وصعوبة الحركة .

| | الخوف هو الشعور الذي سيطر علي في المرة الأولى التي خرجت فيها للاشتباك كان ذلك في أحد أحياء مدينة دمشـق، كنا مجموعة لا تتجاوز العشر أشخاص وكنا نسـتعد لحماية مظاهر في ذلـك الحي وقد اشـتبكنا مع قوات الأمـن أثناء محاولتها فـض المظاهرة . لقد اسـتمر الخوف منذ بـدأت تجهيز سـلاحي وتذخيرهحتـى اللحظـة التي سـمعت فيهـا دوي الرصاصـة الأولـى من قـوات الأمن. عندها تبدى كل ذلك الثقـل من على كاهلي وتلاشـي تحت هدير الرصاص.

| إلى ماذا يستحيل هذا الخوف؟ هل يتلاشـى تماماً ؟أحياناً من شـدة الألم لا نشـعر به، نفقد احساسنا به ولكنه يبقى موجود، هل ينطبق ذلك على الخوف؟

إنه يشـبه الحالة التي تكون فيها تحـت التخديـر. وكأنـك بيـن الصحـو والنـوم. وبالرغـم مـن ذلـك ينشـط الدمـاغ بطريقة غريبة في محاولة لأن تحمـي نفسـك بالدرجة الأولـى، وأن تقوم بالقتل بالدرجة الثانية.

| هـل تكون واعٍ تماماً لفكرة القتل عندما تقوم بهـا؟ أم أن حالة الخدر التي تحدثت عنها تكون قد تملكتك؟

| | لا أعـرف بالضبـط ، ولكننـي أسـتطيع القول أنها حالـة وعي، لأنك إن لـم تقتل سـوف تموت.هـذا يعني أنك سـوف تقـوم بالقتل. تنسـى كل شـيء،ويختصر العالـم فـي مسـاحة الاشتباك.

| هـل حـدث معـك ذات مـرة أن ذاكرتك نشطت في الاشتباك واستعدت ذكرى ما؟

| | عندما ينتهي الاشـتباك تتذكر كل اصدقـاءك والأشـخاص الذيـن ماتـوا، وإن أقصـى ما في هـذه الحالة أنك تـرى النهايـة التي سـتؤول إليها. والعقل يعود إلى وعيه بالكامل ويعود الخـوف مرة أخرى وتنتهـي حالة الخدر التي تعيشـها. في نهاية المعركة تجد أصدقاء لك مشـوهي الجثث. وتتساءل هل من الممكن أن يحدث بي كما حدث بهم؟ وكأنك تقف وتنظر إلى جسـدك، ترى نفسك ممد على الأرض وتحصي عدد الرصاصات فيه.

| هـل قمـت بقتـل العديـد مـن الأشخاص؟

| | نعم.

| هل توافق على مفردة قتل؟

| | التلاعـب بالكلمـات لا يلغـي الواقع، ولكن المصطلح إن تغير يتغير دافعك فأنا لم أقتل بدافع القتل وكنني أجبرت عليه.

| هـل ثمة فرق عندمـا تقوم بقتل شـخص ما عن مسـافة قريبة أو مسافة بعيدة؟

| | ثمـة فرق كبيـر؛ عندما تقوم بقتل شـخص من مسافة بعدية وترى أنه قد مات، سـقط من أثر رصاصك لا تشعر بشيء، وكأن وجوده لا يحمل أي قيمة في هذا الجحيم الذي قد زُجّ فيه كلانا. ولكن عندما يكون على مسـافة قريبـة وتقتله وترى كيـف تألم، كيف لفظ أنفاسـه الأخيرة أمام عينيك.. إنه شـيء مرعب. ينتابك ذلك الإحسـاس المر؛ لقد سلبت هذا الرجل روحه.وهذا الفعل يحدث فـي ذاتك تناقض غريب مـن نوعـه. إنـه يوحـي إليـك بالقوة والخـوف مـن هذه القـوة، حيـث يولد في رأسـك سؤال كبير لماذا سلبت هذا الرجل حياته؟

| عندما تقوم بقتل عنصر الأمن أو الشبيح يكون لديك احساس بأنك تقوم بقتل رجل قاس ومتوحش وأنه يسـتحق هذه النهاية،أليس كذلك؟

| | بالطبع..

| هـل حـدث ذات مـرة وقبـل أن تقوم بقتل شـبيح أن نظـرت إلى ملامح وجهـه ووجـدت أنه عـاد إلـى ملامحه الطبيعية،وأنه إنسـان لديـه الرغبة في الحيـاة، وانـك لـم تعـد ترى أنـه ذلك الإنسان القاسي والظالم؟

| | إن الإنسان مهما كان متوحشاً وظالماً،ومهمـا كان لديك رغبة عارمة فـي قتلـه للتخلص مـن ظلمـه ومن اسـتبداده، وأنـه قد قام بقتـل المئات مـن الاشـخاص، إلا أنـه فـي اللحظة التي يشعر أنك ستسلبه حياته تكسوا ملامحـه البراءة ويعود انسـان طبيعي يشـبهك. ترى الأحلام في عينيه، وقد تبصر زوجته وأطفاله ،عشـقه ومنزله الـذي يرغـب في العـودة تلـك الرغبة المشتركة التي تبقى أصدق من كل ما يحدث. من منا لا يرغب في النهاية في العودة إلى منزله؟

| هل شعرت أن تلك الملامح صادقة أم أنها حيلة قد يستخدمها للنفاذ؟

| | أعتقـد أنـه صادق. فـي تلك اللحظة لا يمكنك التحكم بأحاسيسك. يرتـد الخـوف بالكامل ويتملـكك. إنه يدرك أنه في هذه اللحظة على وشـك أن يموت. ولا شـعورياً تكتسـي ملامح وجهـه بالتوسـل والترجي لألا يخسـر حياتـه. وفـي كثيـر مـن الأحيـان مـا

يضطرك الاشتباك لأن تقوم بالقتل القريب. إن كل هذه المشاعر تمر خلال ثوان قليلة. وفي اللحظة التي تهم بقتله تختلف المسألة بالكامل. إنه يشعرك أنك أنت الظالم وأنه الضحية.

| هل من الممكن أن يتحول القتل إلى عادة؟

| | نعم ممكن!

| إدمان؟

| | لا

| هل عرفت أحد من أصدقائك أدمن على القتل؟

| | لا أعرف حقيقة! ليس إدمان على القتل وإنما من شدة الظلم الذي تراه يزداد حبك لقتل الظالم. أتمنى أن يموت كل الظالمين على يدي!

| القتل والحياة! على طرفي نقيض هاتين العبارتين. ما هي الطريقة التي توازن بها بين القتل في مكان ما والعودة إلى الحياة الطبيعية ؟ ما هي المعادلة التي تجعلك توازن بين هاذين الفعلين المتناقضين؟

| | أعتقد انه لا يوجد توازن، ولكن ثمة صراع بين أمرين: الأول أنني لست قاتل. أنا خرجت من أجل قضية ما؟ شيء أؤمن به. وفي ذات الوقت قد خرجت وقمت بفعل القتل. القتل فعل شنيع،والخوف الحقيقي من أن يتملكك. الأقسى أنه من الممكن أن يتحول موت الإنسان إلى شيء طبيعي. في مكانٍما في داخلي ثمة أحاسيس قد مات.. هذا شيء مخيف!

| اليوم بعد كل القسوة التي مررت بها، وانت الآن على مسافة من الأحداث، هل تشعر أن تأثير الألم والقسوة قد تسلل إلى حياتك؟ هل تحولت إلى شخص قاس؟

| | أعتقد أن هذه القسوة قد تسللت إلي، لا أستطيع الجزم..

| ما هو مقياسك لهذه القسوة؟ أو هل ثمة ما تقيس فيه إلا ما تحولت؟

| | أتساءل دائماً هل أنا شخص طبيعي بعد كل ذلك؟ أحاول أن أظهر للناس أنني كذلك، لكنني أعرف أنني لم أعد ذلك الشخص الذي كنته. أن يتحول القتل إلى أمر اعتيادي بالتأكيد لا يمكن أن يكون ذلك طبيعياً. أعتقد أن الحياة القادمة هي المقياس الحقيقي.

| الثورة وسمت حياتنا بإيقاع متسارع مليء باللحظات الاستثنائية، تلك اللحظات التي تمسي جزء من مغامرة تدمنها. هل تشعر أنك أدمنت على إيقاع الحياة مقارنة مع ايقاع الحياة العادي؟ هل تشعر أن ايقاع الحياة الذي عشته في الجيش الحر لا يمكنك نسيانه؟ هل تشعر بالحنين له؟

| | في كثير من الأحيان أسأل نفسي ذلك السؤال، هل حنيني إلى الجيش الحر هو بسبب أنه تحول إلى أسلوب حياة أم أنه حنين للقضية العادلة؟ أحياناً أحن إلى صوت الرصاص، سأقول لك شيء غريب. أحد أجمل الأصوات التي سمعتها هو صوت قذيفة الأربيجيه عندما تنفجر. إن ذلك الصوت يسكنني وقد أصبح أجمل من الأغاني والموسيقى. أشعر بشيء غريب عندما أسمع ذلك الصوت تنتابني مشاعر غريبة!

| إن ما تقوله يحمل تناقضاً غريباً. شعرت به طوال تلك الأيام السابقة فأنا في اللحظة التي كنت أسمع فيها صوت الرصاص كان الخوف يتلاشى وكنت اتحرر من خوفي،وفي كثير من الأحيان ما أفتقد صوت الرصاص..

| | إن ما تقوله يختلف عما كنت أتحدث عنه، أنت كنت تسمع صوت الرصاص سواء أكان قريباً منك أم بعيد. أما أنا فقد كنت أصنع صوت الرصاص، هذا اللحن أنا من كنت أعزف عليه.

| وذلك ما يبعث في نفسك الشعور بالقوة؟

| | لا؛ المسألة لا تتعلق بالقوة. ولكن هذا الصوت الذي تصنعه يوحي لك بالنصر والمجد ونصرة من ظلم وخرجت أنت لنصرته. إنه ليس لحن القوة بل لحن الفرح بالانتصار . إن العازف الموسيقى يعزف لكي يحرك مشاعر الناس وقد يكون هدفه في النهاية هو الشهرة أما نحن عندما نعزف هذا اللحن هدفنا هو المجد مجد هذا البلد وتاريخ ثورته.

| أليس من الغريب أن تشبّه صوت الرصاص بالموسيقى التي تكاد تكون أرهف ما قام به الإنسان بينما صوت الرصاص هو أقسى ما قام به الإنسان؟

| | نعم إنه غريب جداً، ككل شيء يحدث الآن. ولكن هذا تشبيه لما يجول في داخلي. أحاول أن أعبر لك عن أحاسيسي وأكون صادق. إن القاسم المشترك بين الموسيقى والرصاص أنهما يحركان مشاعر جياشة في صدرك.

| هل عندك استعداد أن تخوض معركة غير هذه المعركة في مكان ما غير سورية؟ ما أريد قوله هو فكرة تدور في رأسي مفادها أن كل من خاض حرب يبقى يبحث عن حروب ليخوضها وذلك لأسباب كثيرة منها ما تحدثنا عنه النشوة والمجد إلخ..

| | إذا انتهت الثورة ستنتهي حربي. سأترك السلاح وأعود إلى حياتي الطبيعية لأنني كنت أمتلك حياة قبل هذه الثورة. أريد أن أكمل دراستي وأحقق أحلامي، إلا إذا تكرر نفس الظلم الذي نعيشه الآن سأعاود وأخوض هذه الحرب ضد الظلم.

| والحنين إلى صوت الرصاص؟

| | أعتقد أنه من الممكن أن تطغى عليه صوت الحياة الحقيقي، للحياة إيقاع جميل وخصوصاً بعد نجاح الثورة.

| هل ما زال لديك قدرة على الحب بالرغم من كل تلك القسوة والألم التي مررت بها؟

| | إن الثورة قد غيرتني. كانت مشاعري جامدة، وكان الحب مسألة عابرة، والفتيات مسألة مؤقتة. أما الآن فقد جعلتني الثورة أكثر حساسية وأصبحت مشاعري أكثر فيض وكنت دائماً أحلم بحب حقيقي ألتجئ إليه ليخفف كل تلك القسوة والألم، ويخفف من كل تلك الأهوال التي رأيناها.

| أبو عبيدة: أريد أن أقوم بدور الصحفي الآن، أرغب بطرح سؤال عليك هل تعتقد أن من حمل السلاح وشاهد كل هذه القسوة والدم أنه بحاجة إلى علاج نفسي.

| | عروة: لا أعرف حقيقة. ربما لست أنا من يمكنه الإجابة على هذا السؤال. ولكنني أشعر أن القسوة والألم التي عايشناها بالثورة قد تركت في لدينا الكثير من التشوهات والندوب، وتحديداً المحارب الذي قام بأقسى فعل وهو سلب حياة إنسان ما. ربما يكون بحاجة لعلاج، وإن لم يكن ذلك فهو بحاجة إلى مصارحة مع الذات، ومن ثم محاولة للتصالح مع الحياة. إذا لم يستطع أن يقوم بها فهو بحاجة إلى علاج نفسي.

| أبو عبيدة: هل تعتقد أننا سنشفى ذات يوم من كل تلك الندوب والتشوهات؟

| | عروة: إن فهمنا أنفسنا، واستطعنا أن نفهم كل ما مررنا به أعتقد أنه سنشفى ذات يوم.

| في ختام هذا الحوار أود أن أسألك السؤال الأخير، هل تعتقد أن للإنسان في هذا المكان في العالم وأثناء تعاملك معه تنظر إلى أنه يمتلك قيمة حقيقة؟

| أعتقد نعم، وأرى أنه يمتلك قيمة حقيقة.

التحكيم في القانون السوري

■ ياسر مرزوق

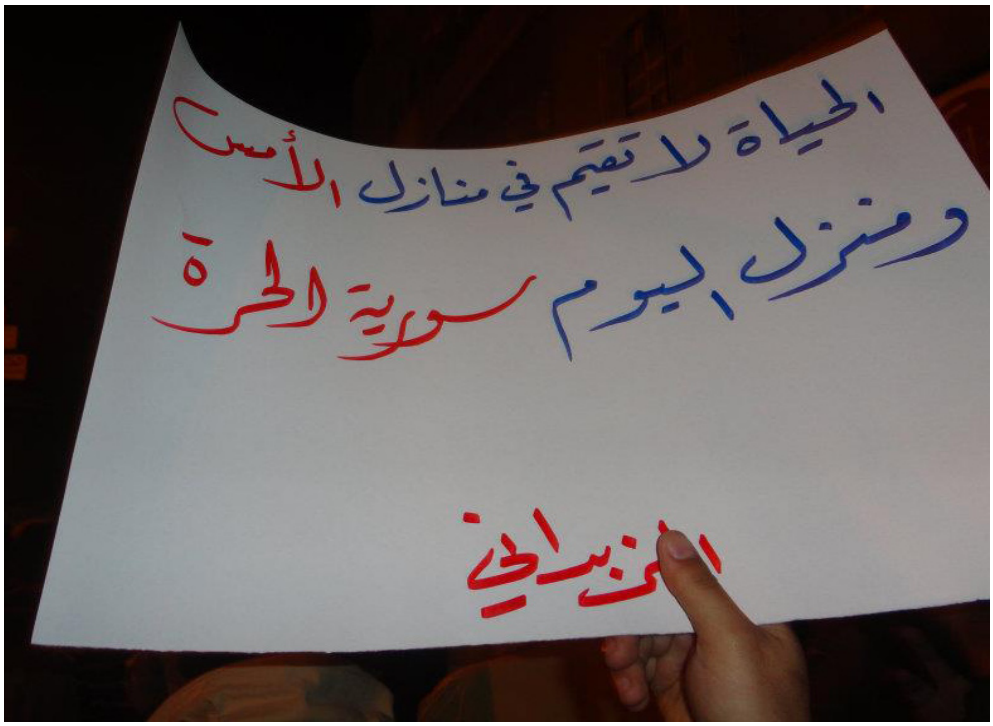

صدر قانون التحكيم الجديد كقانون مستقل عن قانون أصول المحاكمات المدنية بتاريخ 2008/3/26 وتضمن 66 مادة ونص في مادته الأخيرة" ينشر هذا القانون بالجريدة الرسمية ويعمل به اعتبارا من أول الشهر الذي يلي نشره" وقد نشر هذا القانون بالجريدة الرسمية في 2008/4/2 العدد 15 وحسب نص المادة 66 السالفة الذكر يعمل به ابتداءً من 2008/5/1

جاء قانون التحكيم مغايرا لقواعد" اليونيسترال "ولقوانين التحكيم الصادرة في الدول العربية بشأن سريان قانون التحكيم على اتفاقيات التحكيم المبرمة قبل نفاذ هذا القانون فقد نص في المادة /65/ "تبقى اتفاقيات التحكيم المبرمة قبل نفاذ هذا القانون خاضعة للأحكام التي كانت سارية بتاريخ إبرامها سواءً كانت إجراءات التحكيم بوشرت أو لم تباشر"

فهذا النص يعتبر شاذاً وكان أولى بالمشرع لو أنه ميز بين إجراءات التحكيم فيسري القانون الجديد على الإجراءات التي لم تباشر ويبقى قانون أصول المحاكمات المدنية (م506 حتى 534) ساريا على إجراءات التحكيم التي قد بوشرت.

كما حصر هذا القانون في مادته 3 اختصاص النظر في مسائل التحكيم إلى محكمة الاستئناف التي يجري في دائرتها التحكيم اختصاصا حصريا استئثاريا على خطا بقية قوانين التحكيم العربية التي اعتمدت محكمة الاستئناف للنظر في هذه المسائل. أما في قانون أصول المحاكمات المدنية فقد كان الاختصاص منعقداً للمحكمة المختصة أصلاً بنظر النزاع. وتجدر الإشارة إلى انه يجوز لطرفي التحكيم أن يتفقا على تعديل الاختصاص المحلي لمحكمة الاستئناف.

وقد أجاز هذا القانون لأطراف النزاع اختيار أي قانون "سوري، تركي، نمساوي، شريعة إسلامية.... " وتطبيقه على موضوع النزاع فهو محترم طالما أن قواعده لا تخالف النظام العام في سورية، أما إذا كان هذا القانون مخالفاً للنظام العام فلا يمكن تطبيقه، تنص المادة الثامنة من قانون التحكيم: "يجب أن يكون اتفاق التحكيم مكتوبا وإلا كان باطلا..... "

فبعدما كان شرط الكتابة في اتفاق التحكيم محل جدل بين الفقهاء أصبح شرط الكتابة في قانون التحكيم الجديد شرط انعقاد وإلا كان الاتفاق باطلاً، فإذا كان اتفاق التحكيم قد تم بشكل شفوي فان اتفاق التحكيم يكون باطلا وقد أخذ المشرع في هذا القانون بوسائل الاتصال الحديثة " بريد الكتروني، فاكس.... " لإثبات كتابة شرط التحكيم.

ومن مضمون المادة رقم 10 في قانون التحكيم الجديد يستشف أنه يجب على المحكمة أن تحكم بعدم قبول الدعوى إذا دفع بذلك المدعى عليه قبل إبداء أي طلب ما لم يكن اتفاق التحكيم باطلاً. فقد يرى أحد الأطراف مثلاً أنه ليس من مصلحته إحالة النزاع إلى هيئة التحكيم رغم وجود شرط بذلك ويرفع الدعوى أمام المحكمة المختصة وهنا إذا دفع المدعى عليه بوجود شرط التحكيم قبل إبداء أي طلب وجب على المحكمة التي رفعت الدعوى أمامها أن تحكم بعدم قبول الدعوى. وقد أعطى المشرع للمحكمة سلطة التحقق من صحة اتفاق التحكيم فإذا كان باطلاً حكمت بإبطاله وقبلت الدعوى.

وإذا رفعت دعوى أمام محكمة ما فان رفع الدعوى لا يمنع من البدء في إجراءات التحكيم إذا طلب صاحب المصلحة ذلك، أو إكمال السير في الإجراءات إذا كانت قد بوشرت قبل رفع الدعوى، كما لا يمنع رفع الدعوى إمام المحكمة المختصة من إصدار الحكم التحكيمي من قبل هيئة التحكيم.

تشكل هيئة التحكيم باتفاق طرفي التحكيم من محكم واحد أو أكثر على أن يكون عددهم وترا فإذا كان عددهم زوجيا كان اتفاق التحكيم باطلاً، وماذا لم يتفق طرفا التحكيم على عدد المحكمين كان عددهم ثلاثة وما يجدر به التنبيه أن المشرع لم يحدد حدا أقصى لعدد أعضاء هيئة التحكيم بينما حدد الحد الأدنى بمحكم واحد.

هذا ويجري التحكيم باللغة العربية ما لم يتفق أطراف التحكيم على غير ذلك. فإذا لم يتفق أطراف التحكيم على لغة التحكيم جاز لهيئة التحكيم أن تقرر لغة معينة أو عدة لغات، وإذا لم تقرر هيئة التحكيم أي لغة ولم يتفق أطراف التحكيم على لغة معينة كان التحكيم باللغة العربية "نص تكميلي في حال عدم الاتفاق"

إن المشرع السوري في قانون التحكيم أخذ بمبدأين مستقران في الفقه التحكيمي المقارن وهما:

1 -مبدأ استقلال شرط التحكيم.

2 - مبدأ الاختصاص بالاختصاص.

مبدأ استقلال شرط التحكيم:

تنص المادة 11: "يعتبر شرط التحكيم اتفاقاً مستقلاً عن شروط العقد الأخرى ولا يترتب على انتهاء العقد أو بطلانه أو فسخه أو إنهاءه أي اثر على شرط التحكيم متى كان هذا الشرط صحيحا في ذاته ما لم يتفق الطرفان على غير ذلك" وبحسب النص السابق نجد أن المشرع السوري أخذ بما استقر عليه الفقه المقارن دون أن يأخذ بالنظرية الكلاسيكية التي تعتبر أن شرط التحكيم يرتبط بالعقد وجوداً وعدماً، فإذا كان العقد صحيحاً بذاته وغير مخالف للنظام العام فيبقى النزاع خاضعا للتحكيم رغم بطلان العقد الذي تضمن شرط التحكيم.

كما تنص المادة 21 على ما يلي: "1 -تفصل هيئة التحكيم في الدفوع المتعلقة بعدم اختصاصها بما في ذلك الدفوع المتعلقة بعدم وجود اتفاق تحكيم أو سقوطه أو بطلانه أو بعدم شموله لموضوع النزاع، 2 - يجب تقديم الدفع المتعلق بعدم شمول اتفاق التحكيم لما يثيره الطرف الآخر من مسائل أثناء نظر النزاع فوراً وإلا سقط الحق فيه، 3 - لا يترتب على قيام أحد طرفي التحكيم بتعيين محكم أو اشتراكه في تعيينه سقوط حقه في تقديم أي دفع من الدفوع المشار إليها في الفقرة الأولى، 4 - أ- لهيئة التحكيم أن تفصل في الدفوع المشار إليها في الفقرتين الأولى والثانية من هذه المادة باعتبارها مسألة أولية، أو تقرر ضمها إلى الموضوع لتفصل فيهما معا. قرار الهيئة مبرما في الحالتين، ب - يجوز لمن رفضت دفوعه المذكورة أن يتمسك بها عن طريق رفع دعوى بطلان حكم التحكيم وفقاً للمادة (51) من هذا القانون. "

فمبدأ الاختصاص بالاختصاص مبدأ مستقر في الفقه والاجتهاد الدولي ويكمل مبدأ استقلال شرط التحكيم وبالتالي فإن هيئة التحكيم تبت في جميع الدفوع المتعلقة بشمول أو عدم شمول اختصاصها. بينما كان ذلك سابقاً من اختصاص المحكمة المختصة أصلاً بنظر النزاع.

ولدى استقراءنا للمادتين 10 و21 يظهر جليا لنا التناقض بينهما. فقد أعطى المشرع للمحكمة المختصة أصلا في نظر النزاع صلاحية التحقق من صحة شرط التحكيم كما أعطى هذه الصلاحية لهيئة التحكيم. وهذا التناقض وقع به القانون المصري وكذلك القانون النموذجي الصادر عن هيئة الأمم المتحدة.

يرد المحكم لنفس الأسباب التي يرد بها القضاة وقد نصت المادة 19:

1 - يقدم طلب الرد كتابة إلى المحكمة المعرفة المذاكرة، (3) من هذا القانون مرفقا به الأوراق المؤيدة له خلال مدة (15) يوما من تاريخ علم طالب الرد بالأسباب المبررة للرد.

2 - تنظر المحكمة المذكورة بطلب الرد في غرفة المذاكرة، وتفصل به بقرار مبرم بعد سماع المحكم المطلوب رده.

3 - يترتب على تقديم الرد وقف إجراءات التحكيم وتعليق مدته إلى حين صدور القرار الرد أو إلى حين قبول المحكم البديل مهمته التحكيمية

4 - لا يقبل طلب الرد ممن سبق له تقديم طلب برد المحكم نفسه في ذات التحكيم وللسبب ذاته.

5 - إذا حكم برد المحكم ترتب على ذلك اعتبار ما يكون قد تم إجراءات بما في ذلك حكم التحكيم -كأن لم يكن من تاريخ قيام سبب الرد. "

إن نص الفقرة الثالثة والرابعة يعتبر نسفا لقانون التحكيم برمته وقد انحرف المشرع بذلك عن كل الاتجاهات التحكيمية العالم فإذا أراد أحد المتنازعين ممن ليس لهم مصلحة بالتحكيم أن يبقى الخصومة قائمة مجمداً إياها فما عليه إلا أن يقدم طلب رد إلى محكمة الاستئناف وبحسب المادة أنفة الذكر تقف الخصومة لحين البت بموضوع طلب الرد فإذا رفض الطلب فيمكن له أن يتقدم بطلب ثاني وثالث و..... إلى مالا نهاية مؤبداً الخصومة وكان من الأجدر بالمشرع أن يضيف الى الفقرة الرابعة ما يلي: "لا يقبل طلب الرد ممن سبق له تقديم طلب برد المحكم في ذات التحكيم وللسبب ذاته وعلى فرض حصوله لا تقف إجراءات التحكيم" مما سبق نجد أن المشرع نسف بهاتين الفقرتين قانون التحكيم بأكمله.

أنا حر أكتب بلغة حرة دون تكلف أعبر عن أفكاري بدون قيود أو معوقات لغتي بسيطة وهدفي واضح كلمة حق تصل مباشرة لكل من يعيش معاناتي ويحلم نفس حلمي .. أنا مواطن سوري حر.. حبر حر: مساحة رأي تنشر بالتزامن على المواقع التالية:
سوريا فوق الجميع | كبريت | المندسة السورية | صفحة الشعب السوري عارف طريقه | صفحة حركة شباب 17 نيسان | راديو واحد
زائد واحد | مجلة سوريتنا | مجلة سوريا بدها حرية | صبايا وشباب المجتمع المدني

ماذا بقي من الحرية والثورة والكرامة؟

لا نعتقد أن أنظمة كالسعودية وقطر، وبلاد مثل دول الإتحاد الأوربي، وأمة من طراز الولايات المتحدة، وكيان مثل الكيان الصهيوني "الغاشم" لديهم رغبة أن تكون أحداث سوريا تشبه حقيقة الجملة السحرية الآسرة التالية:

ثورة الكرامة والحرية

النظام وبكل ما لديه من قدرات وأتباع ومنذ اللحظة الأولى قرر أن يسحق أي مظهر ينادي بالحرية والكرامة والثورة الحقة

و باعتبار أنه فشل في إيقاف العدوى التي انتشرت من درعا، قادمة من تونس، لتعم سوريا من أقصاها لأقصاها

فقد عمل جاهدا على تفريغ هذه المفردات الثلاث من قيمتها، وعطب الطاقة المتفجرة لمن عاش وبات يعتاش بها

فصارت الثورة.. "فورة" بأدبيات المخابرات وأزلامهم وأتباعهم وتنطعت جماعة "ليس" لتكرر الأسطوانة الشهيرة "مصر ليست تونس، وليبيا ليست مصر، وتونس وسوريا ليستا ليبيا... الخ"

وعمل اليسار الضال، والممانعة الجبارة على النيل من كلمة ثورة بكل ما أوتوا من قوة

الحرية

يمسك إطفائي "بأشلاء بشرية" كأنه يحضن شيئا أعتاد لملمته، مصوبا نظراته على الكاميرا ليقول: "أهذه هي الحرية؟"

يمسك المذيع أكياس البرتقال البيضاء، يضعها أمام العنصر الذي يعمل كومبارس كأحد أفراد حفظ النظام، ويصيح زميله الممثل: "أهذه هي الحرية؟".

و يتفنن الأشاوس وهم يطلقون النار على المساكن، أو يمثلون بالمعتقلين بألفاظ من قبيل "عطيهم حرية" أو شو هي الحرية؟" أو "بدكن حرية؟"

و الغاية من كل هذا إيصال رسالة: (إذا أردتم الحرية فهذه هي النتيجة، هذا ما سنفعله بكم)

الكرامة

عملت الجموع المنسرحة من عقال العقل على ربط الكرامة بطول سيادة الرئيس، فهو الوحيد الذي يمثل القامة الوطنية للكرامة، أما باقي السوريين فقد تفنن النظام في جعل كرامة الأحياء منهم والأموات تنتهك بعلنية لم تعهد من قبل، حيث ذهب بها إلى أقاصي العنف والاستباحة والتشويه والإهانة، وقام بنفسه أو عن طريق أتباعه بتسريب الفيديوهات والأخبار والمشاهد الصادمة والمؤلمة والموجعة التي تنتهك كرامة الميت قبل الحي، وهدرت كرامة سوريا على يد النظام وعنفه وعنجهيته فرأينا طرد سوريا من الجامعة العربية، ثم لتصبح سوريا الأسد مضغة في فم أعتى السخفاء ومجرمي الحرب يقدمون لها النصائح الأخلاقية، وتحول السوريون لأول مرة في تاريخهم إلى لاجئين يستحقون الشفقة في الدول المجاورة، وأضحت كرامة البلاد والعباد ممروغة في التراب

الحرية والكرامة والثورة

ثلاثة مفردات غالبا ما كانت الأنظمة العربية الثورجية تستهلكها وتحولها إلى ألفاظ جوفاء خالية من المعنى والمبنى والطاقة والعمل

لكن الثورة السورية في بداياتها تلمست القيم الداخلية العميقة بحدود مفتوحة لهذه المفاهيم، فأصبحت تشكل خطرا ليس فقط على النظام السوري الذي نجح فقط في تأجيل رحيله (و سيحتاج ربما إلى عام آخر قبل التفكك النهائي)، بل أيضا على باقي الكيانات العربية المنتهكة

و هنا علينا التذكير والتنبيه إلى أن الأنظمة العربية التي تدعي موالاة الثورة، والأوربيون المشغولون بوضع اليورو وكوارث الاتحاد الهجين، والولايات المتحدة المنكمشة على نفسها، والكيان الصهيوني الذي يراقب بعيني ثعلب مرعوب) لديهم جميعا الرغبة ألا يكون العنوان العريض للحالة السورية (حرية، وكرامة، وثورة)... لأنهم ببساطة يعرفون جميعا أن هذه القيم الثلاثة بعمقها وطاقتها وقدراتها ستصل إليهم وتربك حسابتهم، وتغير خارطة المكان وتعد الزمن لزمن آخر..

القرار بوقف الربيع العربي عند دمشق قرار أممي، أما تصفية الحسابات مع نظام الأسد فهذا ما يسمى "بعرف القذارة الأخلاقية "سياسة" أو "نصرة للشعب السوري

من هنا يبدو العرب (تحديداً) مندفعين للمشاركة السياسية في الثورة ليس لحمايتها أو كما يدعون - رغم صحة بعض ما يقولوا - بل لتطويقها في حال نجحت والتشويش على معنى الكرامة والحرية خوفا من عدوى تصل إلى الإنسان في الخليج العربي ليبدأ بطرح السؤال على نفسه عن قيمة الحرية والكرامة الإنسانية الحقة

معارضة بلغة النظام

ما حصل في سوريا يفهمه من ثار من السوريين على الأرض بعمق أكبر لسبب بسيط: لأن أرواحهم غير قابلة للتشويش وحسابات الربح والخسارة عندهم تساوي صفرا، وقيمة الثورة في داخلهم يماثلها (سبارتاكوس نفسه)، فالناس الذين أعلنوا الغضب وانتصروا لكرامتهم وحريتهم لم ينفع معهم كل أنواع الموت والاستباحة والقتل، فكانت ردة فعلهم الأولى إسقاط الرمز الذي يمنع عنهم الكرامة والحرية المتمثل برأس النظام. فتدحرجت رؤوس "فزاعات" المؤسس المخيف لجمهورية الخوف، وحرقت صوره، وثقبت تماثيله، ثم انتقلوا إلى ابنه الذي بدأ قمعه بعمليات جراحية محددة لينتهي بعمليات تشليح أوصال البلد ليصل إلى النتيجة التالية: "اليوم الذي أتوقف فيه عن القتل، أنتهي"

كل ما يملكه النظام اليوم هو مضغة قتل متنقلة، لذلك هو يجر الثورة إلى المكان الأكثر ملائمة لحماية نفسه العنف بكل معانيه، فانطلقت آلاته ومكناته الإعلامية للتشويش على المفردات الثلاث المخيفة

بنفس الوقت بدأت الثورة تتحول إلى معارضة، وهذا أخطر ما في الأمر، وشرب ممثلي الثورة الطعم كسمك قصير الذاكرة. فالمعارضة تعني شرعية النظام، والمعارضة كلمة فضفاضة سياسيا وثقافيا لم يصل الواقع السوري إليها بعد، والمعارضة مرحلة متقدمة من العمل السياسي والفكري والاجتماعي تحتاج إلى أرضية حزبية واضحة وفكرية محددة وبرامج عمل اجتماعية وتنموية وأخلاقية.. الخ

فكانت الخطيئة الأولى: على الأرض لدينا ثورة كرامة وحرية، وعلى الفضائيات لدينا ممثلين لمعارضة غير موجودة أو لم تتشكل بعد

إذا كان أحد يظن أن المجلس والهيئة والمنبر والتجمعات هي معارضة، فنذكره إنها محاولة لخلق الائتلاف النفسي لا الواقعي الذي نشأ بالإيحاء من الخارج... العرب والأوربيين والأمريكان والروس، ولم يكن من وعي الضرورة الداخلية للثورة، وهو ما سيضع في داخلها كل أنواع الألغام والمتفجرات والتشويش لحرفها عن الثلاثية الأصلية لروح الثورة

عمل النظام على إطلاق كل أنواع الزعران والمساجين الجنائيين، وإرخاء قبضته الأمنية من الناحية الجنائية لنشر الخطف والسرقة وتهديد الأمان الاجتماعي في البلاد لتحقيق الردع النفسي للوصول بالشعب إلى نتيجة واحدة: "نريد الأمان (فقط)"، وبالعامية "يلعن أبو الحرية على أبو الثورة نريد أن نعود إلى ما قبل هذه (المؤامرة)"

و للخارج أطلق النظام بحركة خبث، تعرف الولايات المتحدة كيف تلتقطها، أطلق سراح أخطر معتقلي تنظيم القاعدة: 216 معتقلا تبعهم بثلة من إرهابي القاعدة على رأسهم أبو مصعب السوري، وتساهل بدخول جماعات لديه خبرة كبيرة بتصنيعها أو اختراقها امنيا. كل هذا من أجل حرف النظر عن أعلام الثورة وشعاراتها باتجاه أعلام السلفية والقاعدة وجماعاتها.

قيادة الثورة السورية تحتاج إلى وطنين من طراز خاص

في المناطق الثائرة بالداخل فَرّغ النظام قيادات الثورة من الصفوف الأولى، تهجيرا، قتلا، أو سجنا ففقدنا أكثر من ثمانين ألف ناشط حقيقي بين المنفيين القسريين أو المسجونين أو الشهداء، فآل الحراك للصفوف الخلفية التي هي الأكثر حماسا للتسليح والانتقام والأقل خبرة سياسيا، وبدأت بعض الفصائل المعارضة تسير وفق ردة الفعل التي وضعها لها النظام كمنعكس شرطي على العنف بالعنف المضاد

أخذت هذه التجمعات رويدا رويدا تتماهى مع النظام كمضاد له باستخدام وسائله بدلا من ابتكار لغة جديدة للثورة. فهي تشتم، وهي تمارس العنف اللفظي، وهي تقصي، ومن الطبيعي أن تقتل وتعذب أيضا!

فجأة، اكتسحت لغة الثورة مفردات "الصحوة الإسلامية" "الأكثرية" "الأعلام السوداء" وبعض المفردات الطائفية، وتقدم الحديث عن "الجهاد" بدون مسؤولية، ورفعت خطابات ولافتات تثير الحنق، وطبعا بعض هذه المفردات ليست معيبة بالحالة العادية ولكنها تحولت من جزء للحرية والكرامة العامة لكل السوريين، إلى كل تحته تنضوي مفاهيم الثورة والحرية والكرامة أو حتى تتلاشى أحيانا

نجاح النظام من أخطاء "إعلام الثوار" وتقدم الثورة من سلوك النظام

كان هذا النجاح للنظام في جر الثورة إلى مقلب الشعار "المخيف" هو الذي أعطى كل صنّاع القرار العالمي، وبنية النظام الحيوية مراجعة تفكيرها حول ما يحدث في سوريا

على هامش هذه النتيجة، ساهمت تسميات أيام الجمع المضحكة أحيانا، والخالية من الكرامة في أحيانا أخرى، والخالية من الحرية في أكثر الأحيان، بتأكيد الواقع والوقائع، فنجى النظام حتى اليوم من السقوط لا بل نجح في تأجيل سقوطه لعام آخر وربما إذا بقي النهج الحالي فإن سوريا ستذهب إلى سنوات من الدم شبه المجاني

خلاصة الحل

إعادة الاعتبار اللفظي والمعنوي للمفردات الثلاث: ثورة الحرية والكرامة. لتكون شعارات للفصائل المسلحة التابعة للثورة وليست المستغلة لها "فلم يعد الجيش الحر وحيدا وفوضى السلاح بدأت تعم البلاد"، وتثبيت خيار المقاومة الشعبية دائما كثابت أساسي في المشهد، وطرح المتغيرات كرديف فقط

فالكفاح المسلح يكون دائما لتحقيق هدف سياسي وليس العكس

إعادة استشراف الثورة وبوصلتها السورية للسوريين، لروح الثورة الحقة، ولطاقة السوريين جميعا على مختلف مشاربهم واتجاهاتهم وأفكارهم. ثورة مدنية الروح، قوية الساعد، فما حدث ويحدث يؤكد أن من يريد لجسده أن يحك بأظافر غيره "تمزقه المخالب". السوريون لا يحتاجون أحد فمن يقف مع الثورة السورية يقف مع ضميره وأخلاقه فلا منية لأي كان مهما كان وأينما كان مادام ليس سوريا

و الحقيقة أن بعض المعارضين يعرفون جيدا ألا مستقبل لهم في ظل ثورة وطنية، لذلك لا يتوانون عن إهدار ماء وجههم بتسول كل أنواع التدخل وجر الثورة لتفقد كرامتها بتسول النخوة وتهويل الموت، ورغم ذلك لم تنفع كل الوصفات لحث حكومات العرب والمسلمين والعالم على التحرك، أصلا لا أحد يريد التحرك

أصحاب القرار في الإعلام الثوري أراقوا كرامة ثورة "الكرامة" وهم يستنجدون أين العرب أين المسلمين؟

ولو إن الجهد بذل لدعم خطاب المقاومة المدنية الشعبية بكل أشكالها الوطنية، لكنا انتهينا منذ أشهر

كل الأفعال تبدأ باللفظ واللغة

لن نقلل بعد اليوم من شأن أي خطاب ولغة تزيح عن ثلاثية سوريا الحرة. كل من يريد غير ذلك هو قاتل إضافي يضاف إلى قائمة القتلة.

الدكتور منير العجلاني 1911 - 2006

■ ياسر مرزوق

ولد مُنير العجلاني في مدينة دمشق عام 1911، والده محمد علي وله من الأشقاء ثلاث هم المحامي مختار والدكتور حسن ومصطفى والدكتور حيدر وله شقيقه اسمها فريزة كانت زوجه رجل القانون المعروف محمد الفاضل الذي اغتيل في الثمانينات، متزوج من السيدة إنعام الحسني ابنه رئيس الجمهورية السورية في الخمسينات الشيخ تاج الدين الحسني وحفيدة العلامة الشهير بدر الدين الحسني. نشأ مُنير العجلاني في أحضان ورعاية والده علي العجلاني الذي منحته الدولة العثمانية لقب "الباشا" وهو أحد كبار مزارعي الشام، وأسرة العجلاني أسرة عربية عريقة ذاتُ نفوذ وأملاك، توارث أفراد منها خلال فتراتٍ طويلة نقابة الأشراف، ويذكر الدكتور منير العجلاني أن أصول عائلته تعود إلى مدينة الطائف السعودية، التي هاجر منها جده عجلان، إلى مصر ثم استقر في الشام، وإليه تُنسب العائلة اليوم. وعائله العجلاني من العائلات الدمشقية العربية العريقة، توارث أفراد منها خلال فترات طويلة نقابة الأشراف بدمشق يعود نسبها إلى سيدنا الإمام الحسين سبط الرسول العربي محمد "ص".

بدأ العجلاني تعليمه في دور الكتاتيب بدمشق ثم التحق بالكلية العلمية الوطنية ونال الشهادة الثانوية في سن مبكرة ثم نال شهادة الحقوق من جامعة دمشق وسافر إلى باريس حيث نال دكتوراه دولة في الحقوق وشهادة في الصحافة من معهد العلوم الاجتماعية العليا وشهادة في فقه اللغة وفي علم الاجتماع من السوربون. ومارس في العاصمة الفرنسية أنشطة سياسية متنوعة بصفته أميناً للجمعية العربية، ولجمعية الثقافة العربية، ونشر مقالات في صحيفة "لوسوار" انتقد فيها السياسة الفرنسية في سورية، مما دعا السلطات الفرنسية لا بعاده فتوجه إلى جنيف حتى سمح له بالعودة ثانية إلى باريس لإتمام تخصصاته.

عاد العجلاني إلى دمشق عام 1933 واخذ ينشر مقالات في السياسة والاجتماع بهدف تعزيز دور "الشباب الوطني" وتوسيع قاعدته السياسية، وقد استطاع الزعيم السوري "جميل مردم بك" أن يضمه إلى الكتلة الوطنية. كما كانت القيادة الفعلية لتنظيم "القمصان الحديدية" في سورية معقودة على العجلاني حيث أسند إليه منصب الأمانة العامة لهذا التنظيم وكان زعيم التنظيم عام 1936 "فخري البارودي" وهدف التنظيم إلى الدفاع عن الوطن السوري، وألف مع بعض الشباب جمعية أدبية باسم "المجمع الأدبي" وكان من أقطابها "علي الطنطاوي، جميل سلطان، أنور العطار، وزكي المحاسني". ومارس عمله السياسي عام 1936 وانتخب نائباً عن دمشق حيث كان أصغر أعضاء المجلس النيابي سناً.

وفي عام 1939أصدر العجلاني مع الدكتور سامي كبارة جريدة "النضال" في دمشق وهي سياسية يومية، أخذت حيزاً كبيراً من اهتمام أهل دمشق. و في عام 1940 استلم مُنير العجلاني أولَ منصب حكومي، وهو عمله رئيساً لغرفة رئيس الحكومة، وهو ما يُمثل اليوم منصب "الأمين العام لمجلس الوزراء" وفي عام 1941 عُيّن العجلاني وزيراً للدعاية والشباب، قبل أن يتغيّر مسماها فيما بعد إلى وزارة الإعلام، وكان دخوله مجلس الوزراء في عهد الرئيس تاج الدين الحسني، الذي هو والد زوجته، ويعدُ العجلاني أصغر وزير يدخل مجلس الوزراء السوري، وحينما كان العجلاني وزيراً للدعاية تلى إعلان الاستقلال الأول لسورية عام 1941 في حفل حضره رئيس الدولة.

في عام 1947 عُيّن العجلاني وزيراً للمعارف، وحينما تشكلت وزارة معروف الدواليبي عام 1951 حافظ العجلاني على حقيبته الوزارية وظل وزيراً للمعارف، حتى عُيّن عام 1955 نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للعدل، وكان يرأس مجلس الوزراء بالوكالة.

في عام 1956 عاشت سورية أجواء تيارين متنازعين، تيار يدعو إلى الوحدة مع العراق، والآخر يدعو إلى الوحدة مع مصر، ولم يكن الوزير مُنير العجلاني مؤيداً لأي من التيارين، لذلك اتهم مع مَن أتهمَ فيما يُسمى بـ "المؤامرة الكبرى" أي العمل ضد الوحدة مع مصر، فاعتقل وأودع السجن مع غيره من السياسيين، وقامت دولة الجمهورية العربية المتحدة وهو في السجن، وفي عام 1959 أمر الرئيس عبد الناصر بنقل سجناء "المؤامرة" إلى مصر، وبقوا في الإسكندرية تحت الإقامة الجبرية، إلى أن حدث الانفصال فأخرجوا من مصر ورحّلوا إلى لبنان في طريق العودة إلى دمشق، وفي بيروت وقع انقلاب 61 المعروف بـ "انقلاب القوميين السوريين" فطلب منهم سرعة مغادرة لبنان، فغادروها إلى تركيا، وبقي منير العجلاني في مدينة اسطنبول التركية حتى وصل إلى مدينة جدة في السعودية عام 1962م لاجئاً سياسياً فيها، وفي عام 1963م عُيّن "كبيراً للمستشارين" في وزارة المعارف السعودية، وفي عام 1964 رأس الدكتور العجلاني لجنة التعاقد مع مدرسي التعليم العام في المملكة " من دول سورية والأردن وفلسطين"، كما كان يقوم بإلقاء محاضرات على طلاب الدراسات العليا في كلية الشريعة بمكة المكرمة.

في السعودية واصل العجلاني كتاباته الصحافية، فنشر في الندوة، والبلاد ثم اليمامة مقالاتٍ عدة، ثم كتب في الحياة والشرق الأوسط وكانت مقالاته تبحث في شؤون الثقافة والأدب والتاريخ، كما أنه عمل مستشاراً في دارة الملك عبد العزيز بالرياض، وفي عام 1975 انتدب للعمل رئيساً لتحرير "المجلة العربية"، وصدر العدد الأول منها في شهر آب لعام 1975م وكانت تصدر من بيروت.

إن المطّلع على الأعداد الأولى من "المجلة العربية" يلحظ الرغبة الجامحة والحسّ الأدبي الكبير لدى العجلاني كي تحقق المجلة العربية مكانة متميزة بين المجلات الثقافية العربية، وبأسرع وقتٍ ممكن، وذلك من خلال ما

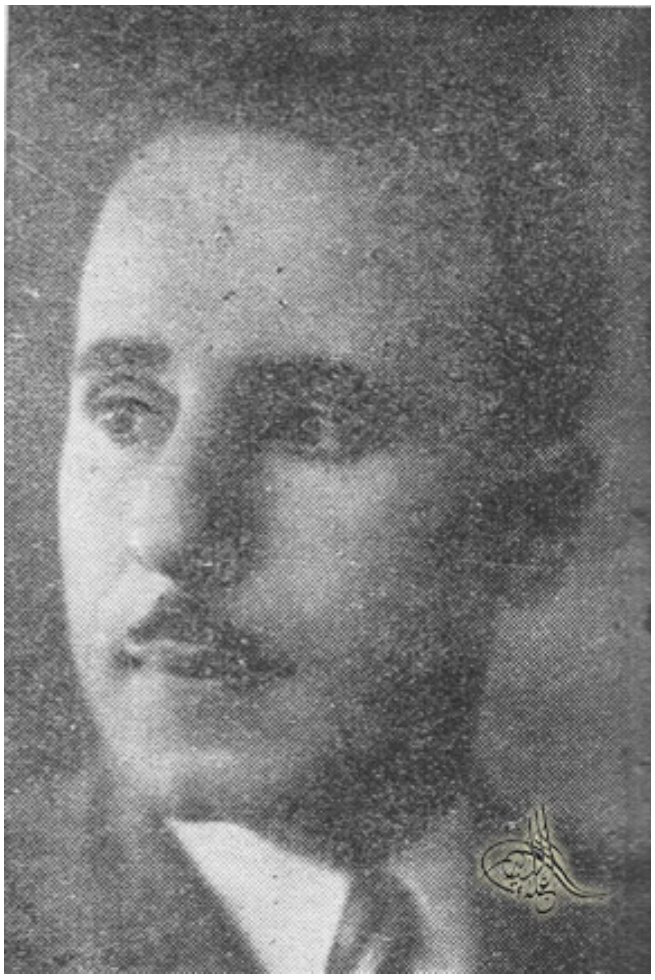

طرحته الأقلام الكبيرة والمميزة فيها من مقالات وآراء وأبحاث في مجالات اللغة والأدب والنقد والتاريخ والفلسفة والآداب الغربية والشرقية والعلوم وغيرها، لذلك جاء الكتابُ فيها من أبرز رموز وأعلام الثقافة العربية، " كالشيخ عبد الله العلايلي، ومعروف الدواليبي، والدكتور نقولا زيادة، وبدوي الجبل، والأمير عبد القادر الجزائري، وخير الدين الزركلي، ومحمد حسن فقي، وعمر الأميري، والدكتور أحمد الشرباصي، والدكتور مصطفى الشكعة، والدكتور فيكتور الكك، وجميل صليبا، وغيرهم من أعلام الثقافة العربية ".

بعد أن ترك منير العجلاني العمل السياسي واستقر في السعودية، تفرغ للتأليف والكتابة والتحقيق، وصدر له أكثر من 20 كتاباً مطبوعاً، من أبرزها موسوعته التاريخية التي تناول فيها تاريخ الدولة السعودية، والمسمّاة بـ«تاريخ البلاد العربية السعودية» والتي جاءت في 5 مجلدات، تناول فيها تاريخ الدولة السعودية بطوريها الأول والثاني، والتي تدل على وفائه لهذه البلاد واعترافه بأنها قدرت كفاحه وجهاده وأنزلته المكانة التي يستحقها، وكان يؤمل ويعمل على إكمال موسوعته بكتابة تاريخ الدولة السعودية بطورها الثالث، سوى أن الموت أخذه قبل أن يُكمل مؤلفه، الذي ما زال مخطوطا.

ومن مؤلفاته أيضاً في التاريخ المحلي كتاب "صور من التاريخ الحديث" بالاشتراك مع محمد التميمي ومحمد العميل، و كتاب " تاريخ مملكة في سيرة زعيم، فيصل ملك المملكة العربية السعودية وإمام المسلمين" و"الإمام تركي بن عبد الله، بطل نجد ومحررها ومؤسس الدولة السعودية الثانية". ويُعدُ كتابه "عبقرية الإسلام في أصول الحكم" من أهم الكتب المقررة في بعض الجامعات العربية، والتي تبحث في النظام السياسي في الإسلام. وله أيضا: " رجل في جلد آخر، مسرحية" و"دفاع الدكتور منير العجلاني أمام المحكمة العسكرية بدمشق" و"عجائب الدنيا" و"القضاء في الإسلام"

وفي السنتين الأخيرتين من حياه الدكتور منير العجلاني أقعدته أمراض الشيخوخة، وأدخل المستشفى عدة مرات، ثم دخل في شبه غيبوبة في أيامه الأخيرة، إلى أن لفظ أنفاسه صبيحة يوم الأحد العشرين من حزيران عام 2006 عن عُمرٍ ناهز 95 عاما في مدينه الرياض.

رحل العجلاني في بلاد الغربة ولم يقم له عزاء في دمشق التي عشقها ولم تذكره دمشق التي أحبته اللهم سوى ما قالته صحيفة الثورة السورية: انه من أهم رجال الحقوق والسياسة والعلم ليس في سورية فحسب بل في العالم العربي بأسره هو الأديب والصحفي والمحلل السياسي والأستاذ الجامعي وشغل عدة مناصب سياسية وأدبية وأكاديمية.

الانقـــلاب العثمـــاني 1908

■ حنين اليوسف

احتـل العثمانيون أرضنا السـورية ما يقـارب الأربعمائـة عام، بـذل خلالها أبناء سـوريا أرواحهم ودماءهـم الطاهرة فداء للوطـن الغالي. لـم يكلوا أو يملـوا طوال أعـوام طويلـة مـن التضحيـات والقتـل والدمـار. اسـتمروا فـي محاربـة عدوهم ومجابهـة جبروته حتى اسـتردوا حريتهم المنشودة.

فـي تموز عـام 1908 وقع ما سـمي "بالانقـلاب العثماني" ضد السـلطان عبد الحميـد الثاني، وكان من دعـا إليه حقيقة هـم "جمعية الاتحاد والترقـي" التي كانت سـرية حتـى وقع هـذا الانقـلاب فظهرت علنـا أمـام الناس. خـرج يومهـا المنادون يطالبـون بتغييـر الدسـتور، وبالحريـة والمساواة والعدل، وأقيمت الزينات، وخرج كل الشـعب ينـادون مع المنادين رغم أن معظمهـم لم يفهـم بداية أي شـيء مما يحصل، ولم يدرك حقا معنى الحرية التي كانوا يطالبون بها.

انتشـر خبر الانقلاب العثماني مساء يـوم الجمعـة 11 تمـوز 1908، فأعلنتـه حكومة الولاية في السـاعة الحادية عشرة ليلا، وبدأ المنـادون ينادون به منذ الصباح التالي.

خلال مدة قليلة من الانقلاب تشكلت عدة فروع لجمعية الاتحاد والترقي في كل الولايات، ومما سـاعد على ذلك الموظفون الذين قام السـلطان عبـد الحميد بنفيهم من الأستانة.

احتـار رجـال الحكومـة المحليـة في تحديـد موقفهم من رجـال المعارضة بعد الانقلاب، وعمل الكثيـر منهم على تبديل مواقفهـم فتقربـوا مـن الأحـرار الذيـن يعملون فـي جمعية الاتحـاد والترقي في دمشق ومنهم حسين عوني بك.

كان مـن أعضـاء جمعيـة الاتحـاد والترقي فرع دمشق الكثير من العسكريين والملكيين، ومنهـم بعض الدمشـقيين. فـكان من الأعضاء أسـعد بك أركان حرب، والذي تعين بعد الدسـتور مديرا للشرطة، ومنهـم أيضـا السـيد أحمد إيبـش، وعبد الرحمن باشـا اليوسـف من أعيـان الأكراد في دمشق، ومجيد باشا العظم، وغيرهم.

لقـد كان للمثقفين دور كبير في هذا الانقلاب حيث مشـوا مـع الأحـرار ينادون مثلهـم ويطالبـون بالحريـة والمسـاواة، ويعلمـون النـاس معنـى المصطلحـات الجديدة التي لـم يفهموا معناها قبل ذلك مثل: حريت (الحرية) مسـاوات (المسـاواة) عدالت (العدالـة) أخوّت (الأخوة). كان لهذه الكلمات الجديدة صدى جيد لدى الناس، لم يكونـوا قد عرفوا قبل اليـوم أنها موجودة حقـا خـارج المعاجـم والكتـب، وهاهـم يعيشونها ويطالبون بها.

كان الاتحاديـون يطالبـون بالإخـاء بين كل الأديان. ويعملون على نشـر مبدأ التآخـي بينهم، حيث كانـوا يجمعون رجال الأديان المختلفـة ويدعونهم لأن يتعانقوا بعضهـم مع بعـض، ويخطبـون بعد هذا العناق مؤيدين للإخاء بينهم.

إن من أحد أسـباب انتشار الاتحاديين "اللوج الماسـوني" ومن أهم أركانه الأمير عبـد القـادر الجزائـري، وقـد كان اللـوج الماسـوني مغلقا قبـل الدسـتور، أما بعد الانقـلاب فتـح المحفـل أبوابـه وزاد عدد أعضائـه والتـم شـملهم وأسسـوا محفلا جديـدا اتخـذ اسـم "نـور دمشـق" وكان مربوطاً بالمحفل الاسـكتلندي بعد أن كان في السـابق مربوطاً بالمحفـل الإيطالي. وقـد تعاقب على رئاسـة المحفل السـادة مصطفـى السـباعي، ثم جبـران لويس، وبعده غالب شـاوول مدير البنك العثماني، ثم فارس الخوري. أغلق المحفل بعد فترة قصيرة من نشـاطه وما يـزال مغلقاً حتى اليوم.

كان لهـذا الانقـلاب وقـع كبيـر على الناس، حيث استمر الابتهاج به زمناً طويلا، وأحيوا المهرجانات وراح الناس يتسـابقون في إقامتها، وقـام الخطباء بإلقاء خطبهم علـى النـاس يسـتفزون الحماسـة فيهم بعباراتهم الصادقة التي تدعو إلى الحرية والمساواة.

لـم يكـن حينها فـي دمشـق خطباء بالمعنى الحرفي للخطابة، بل كان خطباء المسـاجد موظفيـن يقـرؤون الكراسـات المطبوعة في أيام الجمعة. وكانت الخطبة في المسـاجد في العهـد العثماني واحدة، وهي الخطب التي قام بوضعها "ابن نباته" منذ ما يقارب الألف عام.

لم يكن هناك قبل الانقلاب أي خطيب مدني يخطب خارج المسـاجد، أما بعد هذا الانقلاب فبـدأ الشـبان الأتـراك يخطبون بيـن النـاس لأول مـرة باللغـة التركيـة، وراح المثقفـون العـرب وخريجو المدارس العاليـة يخطبـون باللغـة العربيـة، وكان لهم تأثيـر كبير على الجماهيـر بأقوالهم واسترسالهم بالحديث عن الحرية ومعناها وعـن العـدل والمسـاواة، ومنهـم السـيد عبد الوهاب الانكليزي (من شـهداء الثورة العربيـة 1916) والدكتـور عبـد الرحمـن الشـهبندر والذي أصبـح خطيباً من الطراز الأول، والسيد فارس الخوري.

ومن القصص الطريفة التي حصلت فـي سـياق هـذا الموضـوع أن ضابطـا اسـمه أحمد جـودت وهو من أبناء دمشـق المتحمسـين للحريـة، راح يتنقـل بيـن أحياء دمشـق ليحـدّث الناس عـن الحرية ويفهمهـم معنـى الانقلاب، إلـى أن وصل فـي إحـدى الليالي إلـى حي الميـدان وبدأ يخطب بينهم باللهجة العامية، ولكن أثناء خطبتـه راح يحمل على "أحمد عزت باشـا العابـد" حملة عشـواء يتهمه بهـا ببعض الأوصـاف الشـائنة، وكان العابد من رجال السـلطان عبد الحميد المقربين، وهو من أبناء الميـدان. وكما نعرف جميعاً فإن أهل الميـدان منذ القـدم معروفـون بالرجولة ولـذا اسـتاؤوا لـدى تعـرض أحمـد جودت لزعيمهـم بهـذا الشـكل وبـدأت الهمهمة تنتشـر حول جودت من كل مكان، فأحس بالخطر يحيط به. طلب عندها من الجوقة الموسـيقية العسـكرية أن تتهيـأ للعزف، وقال بصـوت مرتفع: "أتعرفـون يا إخوان ما هي الحرية؟ الحرية غزالة مسجونة في قفـص، فتحوا لهـا الباب وفـرت. فرت إلى الصحراء. هذه هي الحرية!" ثم التفت إلى الجوقة الموسيقية وأمرهم بالعزف ليلهي عنه الناس بالموسيقى. ثم نزل عن منبره وتوارى بعيداً عنهم.

كان مـن بين كبار الأتـراك المنفيين في دمشق "المشير فؤاد باشا" المعروف بـ "دلي فؤاد" أي فؤاد المجنون. قام السلطان عبد الحميد بنفيه من الأستانة إلى دمشق، وسـجن في بناء قـرب الثكنة العسـكرية، والـذي كان وقتهـا ناديا للضبـاط وأصبح اليوم جزءاً من بناء الجامعة السـورية في دمشق.

لم يطلق سـراح المشـير فؤاد باشـا بعد أن أعلنت الحرية، ولذلك ذهب السـيد فارس الخوري والسـيد أسـعد بـك أركان حرب إلى مدعي عام الولاية، وطلبا منه أن يقوم بإخلاء سبيل فؤاد باشا ولكنه رفض متحججـا بأنـه لم تصلـه أية أوامـر بذلك من الأستانة. عندها سـأله فارس الخوري وأسعد بك إن كان يحمل أي مخطوط يأمر بسـجن فؤاد باشـا فأجاب بالنفـي، فقالوا لـه أن القانون يمنعه في هـذه الحالة من إبقائه في السجن.

علـى إثـر ذلك رافـق المدعـي العام كلا السـيدين الخوري وأسـعد بك قرقماز وأخرجوا المشـير من السجن، ثم أقام له السـيدان حفل تكريم في حديقـة الدفتر دار، وهي الحديقة الموجودة أمام مدرسـة التجهيـز الأولـى (ثانوية جودت الهاشـمي اليوم). خلال هذا الحفل عزفت الموسيقى العسـكرية، وقام الخطبـاء بإلقاء خطبهم أمام الناس، وكان يومها المرة الأولى التي يخطب بها الدكتور عبد الرحمن الشـهبندر في دمشـق. بعد أن قام الشـهبندر بإلقاء خطبته أخرج منديله مـن جيبه وطلب من الموجوديـن أن يقوموا بإخـراج مناديلهم أيضاً وبـدأ يلوح به ويدعوهم لمشـاركته هذا الفعل. كانت هذه القصة مثاراً لانتقاد الكثير من الناس الذين كانوا ينقمون على هذا الدور.

جرت بعـض القصـص اللطيفة في ذلـك الحفـل ومنهـا أن كان علـى بعـض الوجهاء في دمشق قراءة الخطب المكتوبة، وكان معظمهـم لـم يقف علـى منبر أمام الناس في حياته، فتلعثموا أثناء قراءتهم. وكان منهـم الأميـر عبد القـادر الجزائري الـذي بدأ يقـرأ خطابـه على ضوء سـراج خافت، وعندما وصل إلى كلمة لم يستطع قراءتهـا نـادى بأعلى صوته "مطموسـة" وتـرك الكلمة واسـتمر في قـراءة خطابه وكأن شـيئا لم يكن. كان لهذا الموقف وقع جميل وصفق له الحاضرون طويلا.

حـق الإنسـان بالحريـة والعـدل والمساواة والإخاء والحياة الكريمة هو حق يولد معه منذ ولادته وليس لأحد أن يسلبه إيـاه. السـوري لم يـرضَ يومـا بالهوان. لـم يـرضَ أن يصمت أمام الـذل وإن كان عـدوه قوي وصاحب نفوذ وقدرة. قاوم كل محتل ولم يمل. أربعمائة عام من الاحتلال العثماني لم تنعبه أو تقلل من عزيمته بل ظـل واقفـاً في وجـه الريح يرفـض الذل ويرضـى بالمـوت بديـلا عنـه، ثـورة بعد ثورة نـال حريته واسـتقلاله. واليوم نحن السـوريون مانزال نرفض الأسـر ونطالب بحريتنـا وحريـة أبنائنـا وكمـا اسـتطعنا على مر التاريخ أن نكون أحرارا شـامخين، سنسـتطيع اليوم أن نحصـل على حقوقنا كاملة ولن نرضى للحرية بديلا.

السلطان عبد الحميد

زعماء جمعية الاتحاد والترقي 1908

منير جبان

يسألون كيف سوريا أجيب فورا وقبل أن يُكملوا السؤال كلنا نحبّ سوريا

وائل ماك

يا اللّه احفظ أهلنا في حمص
.. بعد شوي بدي إجي سَمّعْلك ياهن

حكم البابا

معها حق اسرائيل في خوفها على النظام من السقوط، فبوجود شعب بالشجاعة التي يتحدى بها الشعب السوري الأعزل المجازر منذ ثلاثة عشر شهراً، ماكانت لتعيش مطمئنة بحدود هادئة، وربما ماكانت لتستمر، ولذلك فوجود مثل هذا النظام ضرورة لها، وغيابه خطر عليها..

غالية قباني

في يوم واحد تم اختراق حدود الجيران الاتراك واللبنانيين. استرجي واختراق حدود اسرائيل اذا مستقوي ورصاصك طايش؟

محمود محمود

حلب رح تاكلك.

زينة الحلاق

أنا أغار أغار أغاررررر على الدم السوري لا أريد أن يراه كل العالم مطروش طرش على القنوات الإخبارية... و يقدم له مذيعين و مذيعات بلا إحساس كالدمى تصف ما يحدث بدم بارد مع بعض الإبتسامات السخيفة كوجوههم..... تبا للصحافة و للإعلام المحايد أمام دمائنا

حسان عباس

فاقت نقاط التظاهر أمس السبعمائة نقطة.
أيها الوحش! ماذا فعلت خلال سنة؟
قمعت وضربت، أذللت وأهنت، سجنت واعتقلت، جرحت وأعطبت، قتلت وبتّمت، خرّبت ودمّرت، أبعدت وهجّرت..
وفي أول فسحة سكون يخرج الشعب ليعيد ما قالهُ في اليوم الأول: سورية بدها حرية.
ألا تفهم ؟؟؟؟

سعاد جروس

في فيديو قيل أنه "مسرب" من باباعمر لمحت المسيح مصلوبا على دبابة والجند يوثقون ساعديه بالحبال ويعبثون بجراحه ويضحكون ساخرين من الآمه..
اظن أن المخرج ميل غيبسون لو رأى هذا الفيديو وغيره من صور لفظاعات لا تصدق تجري في بلادنا لأعاد النظر بفيلمه آلام المسيح.. فكل ما اظهره من ألم عظيم ادمى قلوب الجماهير في مختلف أنحاء العالم.. يبدو لا شيء امام آلام السوري المصلوب على الدبابة.

غسان ياسين

إتصل بي أحد الشهداء مؤكداً
لا تصالح

خولة دنيا

منذ سنة قام المسيح
حقاً قام...
مازال قائماً لليوم
لم يصعد للسماء بعد

إياد عماشة

بالرغم من أني ضد تقديس الأماكن، والمزارات، إلا أنني أرى من الضروري الحج يوم واحد اسبوعيا الى مكان اعتصام البطلة ريما دالي أمام برلمان الشعب السوري.

نبراس شحيد

لم يعد «اللّه» يجلس كثيراً في الكنائس والجوامع، لأنه ملّ رائحة البخور وضجيج الخطب حين لا تعرف إلا لغة الخوف أو الوعيد، كما سئم ألحان تلك الترانيم التي كَدّسَت الإنسان كما يُكنس الغبار، وضَجر من أصوات الأجراس والمؤذنين حين صارت حبوباً مخدرة... منذ زمن بعيد، وجد «اللّه» بيوتاً أنسب من المذابح القديمة، لأنه كان رحيماً أكثر من كونه «متديّناً»، وفضّل على المعابد الشوارع الطويلة، والمقاهي المكتظة بالحالمين، وجروح المشردين، كما أحبّ أطراف الأزقة، حيث يجلس المتسولون، ويسترق بائعو الورود النظرات بصمت... منذ زمن بعيد، هجر «اللّه» مذابحه القديمة، وكتب على أحد جدران حمص عنوانه الجديد: «بيتي مأسي السوريين، وخيم لاجئيهم، وقلوبهم الفسيحة!».

شيرين الحايك

الأنثى تشبه الحرية.. بكل شيء فيها، حتى في ثورتها.. هنا الحرية و الأنثى و الثورة معاً..

ريما دالي

عندما نتوقف عن التشبث بمواقفنا، ونبدأ بالبحث عن مصالحنا المشتركة واتخاذ خطوات جدية لترسيخها، يومها سنتدرك بأن سوريا ستكون أكثر من وطن لكل السوريين.

أحمد صلال

حلب:جرح أخر ينزف في جسد وطني المدمي، بحيرة أخرى للملح تتحرك في دمي فيوجعني دمي.

هيا الحاج أحمد

لسا مفكرين في بساط تحتن لازم يحطو نضارات ليشوفو سندباد الكرامة قدر يرجع بساطو ليطير فيه بسما الحرية ويشوفو الهاوية يلي بدن دفشة صغيرة لسا ليصيرو من حجارا...

نهلة شام

من امتعاض الجامعة العربية إلى صدمة عنان... امتى تجيهم السكتة ان شاء اللّه؟!

لينا مولا

عندما يتحول الحاكم إلى ديكتاتور يتحول فوراً إلى مجرم، و تصبح السلطة أداة الجريمة والشعب هو الضحية.

سهى رحال

ثلاثون مراقباً دولياً غير كافيين لمراقبة وقف اطلاق النار في حي الاذاعة في حلب لوحده...

راشد عيسى

هذا هو الجمال السوري الأسطوري: أن تقف بنت بهذا الجمال وهذه الرقة، عزلاء إلا من فستان أحمر، كأنها تريد أن تواجه كل هذا الرعب (الأسطوري أيضاً) بهذا اللطف، وبلافتة «أوقفوا القتل» مرفوعة بصمود أمام البرلمان. هذه هي سوريا الغد، سوريا لائقة بهذه الأساطير.

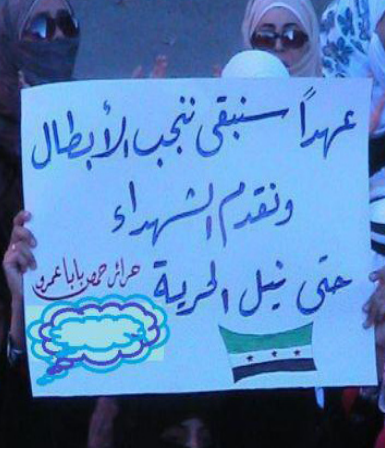

بناتُنا اللواتي تعرَّضْنَ للاغتصاب جديرات بأوفرِ التّفهُم والرعايةِ النفسيةِ والأسَريّةِ والاجتماعيةِ، والدعمِ المعنوي، فهنَّ اللواتي أصابَهُنَّ ألمُ البلاءِ في معركةِ سوريةَ من أجلِ الحريّةِ والكرامةِ الإنسانية، وحقوق الإنسان.

أما بعضُ الأهلِ الذين سمعتُ ولم أصدِّقْ ولم أصدِّقْ!! أنهم يفكرون بالتخلص من بناتِهنَّ المُغتصَبات!! فهم -إنْ كان ما سمعتُه حقاً- جُهلاءُ سُخفاءُ لا يعرفون دينهم، ولا يعرفون حقيقةَ المروءةِ والشرف، بل أكاد أقول: إنهم ليسوا من البشر...

عصام العطار

بخشوع سجدوا أمام جنازته، رفعوه وهتفوا،
لم ينتهي معظمهم من صلاته بعد،
طلقات رصاص، وتسقط فتاة، هتاف
ويسقط طفل في 12 عشر ، هتاف
ويأتيني صديق ويعانقني وهو يبكي بحرقة ويداه مضرجة بالدم ويقول:لي كمال مات أخي
ويهتفون بغضب ويستمر سقوط الأجساد على الأرض..
أجلس على الأرض وأدخن والرصاص يخترق الأجساد..
يأتيني صوته من بعيد: كمال لك كمال صار عشر شهداء وبيكي وأعانقه ونبكي ويسقط بجانبنا صديق ويغرق بدمه..
غضبٌ وبكاء.. زغاريدٌ وعويل..
ما الشجاعة يا اللّه ؟؟
أجساد عارية تستقبل الرصاص..
وصلت إلى البيت لأقرأ الشريط الأخباري: عصابات مسلحة تطلق النار على المواطنين وتخرب الممتلكات العامة..
كم أكرهك يا أبن آدم..
حلب / الإذاعة 2012/4/14
تشييع الشهيد عبدالواحد هنداوي

أحمد كمال

| إذا حاولنا أن ننظر إلى خارطة الوضع السوري من جميع جوانبها.. كيف نرى المعارضة اليوم.. أين أخطأت.. وأين أصابت.. وهل يعني تشرذمها أنها ضعيفة.. وبالتالي ما إمكانية سحقها ممكنة.. ؟

| | انتفاضات «الربيع العربي» كلها هي تفجّر لطاقات المجتمع المدني ضدّ استبداد متجسّد في عائلة وضعت نفسها فوق الدولة. إنّها لحظة من التاريخ العربي والإنساني، تأتي خاصّة نتيجة «المدّ الشبابي»، موجة وصول أجيال شابّة إلى سنّ الوعي والعمل، أضحت تشكّل غالبيّة المجتمع وتريد تغيير أسس المجتمع والدولة. ويكمن الطابع «الثوري» بالضبط في إرادة التغيير هذه.

لكن لا علاقة للمعارضة السياسيّة بهذه الثورة، لا في سوريا ولا في غيرها من الدول العربية. بعض عناصرها لحق بثورة المجتمع، ولكنّه لم يقدها، وبقي دون مسؤوليّة اللحظة التاريخيّة التي يفرضها هذا التحوّل العظيم. المجتمع المدنيّ هو محرّك هذه الثورة، فهو الذي غرس قيمها في سوريا منذ «ربيع دمشق»، وأوصل قيمها إلى حاملها الشعبيّ، وخاصّة مكوّنه الشبابي.

أبرز ما يميّز المعارضة السياسيّة اليوم ليس تشرذمها، بل عدم اتفاقها على برنامج حدّ أدنى يضع صورة توافقيّة لسوريا المستقبل وللمرحلة الانتقالية. إذ من الطبيعي أن تتشكل هذه المعارضة من توجّهات مختلفة، لكنّ المسؤولية التاريخيّة التي كانت منوطة أمامها دعماً لانتفاضة المجتمع وتسريعاً لرحيل السلطة القائمة، هي وضع ذاتيّاتها جانباً والإصرار على خلق هذا التوافق. لكنّ كلّ المحاولات فشلت، في سلسلة المؤتمرات التي شهدتها قطر وتركيا والقاهرة. إذ اعتمدت بعض الجهات السياسيّة فكرة أنّها تستطيع أن تسيطر وحدها على مستقبل سوريا.

الشيء الوحيد المتّفق عليه اليوم بين أطياف المعارضة هو أنّ الهدف المنشود هو الوصول إلى دولة «مدنيّة ديمقراطية». ولكن من الواضح أنّ الاتفاق على هذا الهدف غير كافٍ، بل سمح عدم الذهاب إلى وضع أسس دستوريّة أكثر وضوحاً لسوريا المستقبل، التي أفضّل أن أسمّيها دولة «المواطنة والحريّات»، والسبيل للوصول إليها، سمح بكلّ التفسيرات والالتباسات وبجملات تخوين متبادلة بين أطياف المعارضة السياسيّة. ويحزنني فعلاً كيف ذهبت هذه الأطياف تبحث عن اعتراف دولي، حتّى على أنّها بديل الدولة السورية وحدها، بدل النقاش بينها والتوافق لتوضيح صورة البلاد التوافقيّة وسبل دفع السلطة إلى الرحيل. بالتالي ساهمت هذه المعارضة بكلّ أطيافها في تدويل قضيّة الشعب السوري، واقعةً بالضبط في الفخّ الذي نصبته لها السلطة.

يتحجّج بعض السياسيين المعارضين أنّ هذا التشرذم وعدم التوافق ينتج عن أربعين سنة من الاستبداد. هذه الحجّة واهية برأيي، إذ ما منعه الاستبداد هو السياسة السياسويّة والتنافس، وبقي الوقت متسعاً أمام السياسة النبيلة، تلك التي تبحث عن التوافقات وعن الأسس المشتركة وعن دعم حركة المجتمع نحو الحريّة والكرامة. وأمثلة ذلك في سوريا كثيرة، أهمّها «إعلان دمشق» في صيغته الأولى، الذي رسّخ توافق سياسيّ حتّى بين مكوّنات مختلفة جدّاً إيديولوجياً، من الشيوعيين إلى الإخوان المسلمين، الذين كانوا يخضعون حينها لخطر الحكم عليهم بالإعدام. وفي الحقيقة، تستخدم حجّة أنّ الاستبداد هو سبب مشاكل المعارضة الحالية للتغطية على التهرّب من المهمّة الأساسية في البحث عن التوافقات، بل لمحاولة السيطرة على الثورة من قبل البعض.

ويؤسفني جداً أنّ المعارضة لم تعرف كيف تستفيد من الأخطاء الكثيرة التي ارتكبتها السلطة لربط مختلف أطياف الشعب السوري بمشروعها، حتّى تلك الخائفة من التغيير. بل ما يؤسفني أكثر أنّ المعارضة السياسية ارتكبت أخطاء أكبر، استغلتها السلطة لتأجيل رحيلها وزيادة معاناة السوريين.

ومن أبرز ما يميّز المعارضة السياسيّة السورية أيضاً هو أنّه بالرغم من الإمكانيات المتاحة والوقت، لم تنظّم هيكليّاتها على أسس متينة وديمقراطية، حتّى داخلها. بقيت الأمور هلاميّة، ومرتبطة بأفراد وذاتيّات، أو بتنظيمات معيّنة، دون ضبط لآليّات اتخاذ القرارات الجماعيّة والالتزام بها، ودون ضبط للآليّات المالية والرقابة الداخليّة، حتّى لما يخصّ قضايا الإغاثة. في حين من المفترض أن تُشكل هذه المعارضة مثالاً لسوريا المستقبل الديمقراطية.

هناك أيضاً مشاكل أخرى في المعارضة السياسية، لعلّ من أهمّها أنّ أغلب ما يظهرون في وسائل الإعلام هم معارضون لا يقيمون أصلاً في سورية، بل ربّما لم يزوروها في السنين الماضية إلا نادراً. وهذه مشكلة حقيقيّة صعبة الحلّ، بالنسبة لبلد عدد مغتربيه كبير. فهل يقرّر المغتربون هم مصير المقيمين؟ حتّى لو كانوا بعيدونهم اليوم في محنتهم.

المعارضة السياسيّة إذا ضعيفة، والمجتمع هو القويّ وهو الذي يثبت إرادته على الأرض. والعلامة على ذلك هو الانتقادات الواسعة التي يوجّهها المنتفضون إلى جميع أطياف المعارضة، بمن فيها المجلس الوطني بعد أن كان تشكيله قد فتح آمالاً كبيرة. إنّ هذا المجتمع لم يعد ممكناً سحقه، حتّى لو كسبت السلطة آنياً جولة هنا أو هناك. وحين سيأتي رحيل السلطة، نتيجة توافق دولي كما هو الأمر اليوم، هذا المجتمع هو الذي سيقرّر من يثق بهم ليقودوا المرحلة الانتقالية، وعلى الأغلب سيكون هؤلاء من الوجوه التي ليست الأبرز إعلامياً أو من قادة تنظيمات المعارضة الحاليّة. إلاّ أنّ المرحلة الانتقاليّة ستكون صعبة جداً.

يبقى أنّ توحيد المعارضة هو مطلب وطني للكثيرين، وهو ضروريّ للمرحلة الانتقالية، ويجب إيجاد الآليّات اللازمة له ولو لتشكيل نوع من نواة لمجلس تأسيسي. إلاّ أنّ هذا الأمر يحتاج أيضاً لتوافق دولي. فانقسام المعارضة يأتي في الحقيقة نتيجة للمواجهات الدوليّة، ولو أراد «المجتمع الدولي» حقّاً أن تتوحّد المعارضة، لتوحّدت منذ زمن.

السؤال والجواب: من حوار المعارض السوري سمير العيطة | جريدة السفير اللبنانية

الجـرح الأنثـروبولوجي

هرطقات: عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية

■ ياسر مرزوق

مفكـر وكاتـب وناقد ومترجـم عربي سـوري. من مواليد مدينـة حلب عام 1939، يحمـل الإجـازة باللغة العربية والماجسـتير بالتربيـة مـن جامعة دمشـق. عمـل مديرا لإذاعـة دمشـق (1963-1964)، ورئيسـا لتحرير مجلة دراسات عربية (1972-1984)، ومحـررا رئيسـيا لمجلـة الوحـدة (1984-1989). أقـام فترة في لبنـان، ولكنه غادره، وقـد فجعتـه حربـه الأهليـة، إلـى فرنسـا -التـي يقيـم فيها إلى الآن متفرغـا للكتابة والتأليف.

تميـز بكثـرة ترجماتـه ومؤلفاته حيث انه ترجـم لفرويد وهيغل وسـارتر وبرهييه وجـارودي وسـيمون دي بوفـوار وآخريـن. بلغـت ترجماتـه ما يزيد عن مئتـي كتاب في الفلسـفة والايديولوجيـا والتحليل النفسـي والروايـة. له مؤلفـات هامة في الماركسـية والنظرية القوميـة وفي النقد الأدبي للرواية العربيـة التي كان سـباقا في اللغـة العربية إلى تطبيـق مناهج التحليل النفسـي عليها. مـن أبـرز مؤلفاتـه: "معجـم الفلاسـفة" و" من النهضـة إلى الـردة " و" هرطقات 1 و2 " ومشـروعه الضخم الذي عمل عليه أكثر من 20 عاما وصدر منه خمسـة مجلدات في "نقد نقد العقل العربي" كان آخرها الجزء الخامس "من إسـلام القرآن إلى إسـلام الحديث" (دار السـاقي، بيروت، 2010)، أي في نقد مشروع الكاتب والمفكر المغربي محمد عابد الجابري، ويوصف هذا العمل بأنه موسـوعي إذ احتوى على قراءة ومراجعة للتراث اليوناني وللتراث الأوروبي الفلسفي وللتراث العربي الإسلامي ليس الفلسـفي فحسـب، بل أيضـا الكلامي والفقهـي والصوفـي واللغـوي، وقـد حـاول فيه الاجابة عن هذا السـؤال الأساسـي: هل اسـتقالة العقـل في الإسـلام جـاءت بعامل خارجـي، وقابلة للتعليق على مشـجب الغير، أم هـي مأسـاة داخليـة ومحكومـة بآليـات ذاتيـة، يتحمل فيها العقل العربي الإسـلامي مسؤولية إقالة نفسه بنفسه؟

أهم نقاط المسار الفكري لطرابيشي هـو انتقاله عبر عدة محطـات أبرزها الفكر القومـي والثـوري والوجودية والماركسـية والتحليل النفسي مطبقا على الرواية العربية ، وأخيرا الأبسـتمولوجيا مطبقة على التراث العربـي الإسـلامي. انتهـى طرابيشـي إلى تبني نزعة نقدية جذريـة يرى أنها الموقف الوحيد الـذي يمكن أن يصـدر عنه المفكر، ولا سيما في الوضعية العربية الراهنة التي يتجاذبها قطبان: الرؤيـة المؤمثلة للماضي والرؤية المؤدلجة للحاضر.

يحمـل طرابيشـي فـي كتابنـا اليوم وتحـت عنـوان "هرطقـات" مفتـاح البـاب السحري لإشكاليات الديمقراطية والعَلمانية والحداثة والممانعـة العربية". وهو إذ يعتبر الديمقراطيـة "جوهـرة التـاج" الـذي يتوج التطـور العضـوي للمجتمـع المعنـي، فإنه يعتبر، من جانب آخر، العَلمانية من إفرازات التطور التاريخي.

كثيرًا مـا يقترن الفكـرُ الديمقراطي العربي، الصاعدة موجته في العقود الأخيرة، بنزعـة شـعبوية "populist". والشـعبوية قابلة لأن تُختصَر في شـعار واحد: "الدولة ضـد الأمـة". فالدولـة ذئـب والأمـة حمل، الدولـة قابيل والأمـة هابيل! ومـن دون أن نكـون "هيغليين"، ولا مـن أنصـار عبـادة الدولـة، فـإن منطق تأثيـم الدولـة وتبرئة "الأمـة" أو "الشـعب" أو "المجتمـع المدنـي" يحمل بين طياتـه، على العكس من مدَّعاه الديمقراطـي، جرثومـة توتاليتارية جديدة. ولنا في الثورة الفرنسـية، في عهد الإرهاب "الروبس‌بيـري" مثال قديم؛ ولنا في الثورة الإيرانيـة، فـي عهد حُكـم الملالـي، مثال جديد. وبديهي أن العكس قد يكون صحيحًا أيضًـا؛ وأكثر مـن أن تُحصى هـي الحالات التي تتكشـف فيها الدولةُ عـن أنها "تنين": سـلطة نهمة إلـى السـلطة، إلـى مُراكمة المزيد من السلطة باستمرار.

ولكـن علـى حيـن أن النظريـة الديمقراطية قـد أوجدت علاجات غير قليلة النجاعة لأمراض السرطان السلطوي – وفي مقدمتها مبدأ فصل السلطات ودولة القانون وحقوق الإنسـان – فإن الفكـر الديمقراطي الشـعبوي – وهو الفكر السـائد إجمالا على السـاحة الثقافيـة العربيـة – يضـع رهانَه كلّه على الشـعب أو علـى المجتمع المدني، فيؤبلـس "diabolize " الدولـة ويؤمثـل "idealize" الأمـة، ولا يقيم بينهما إلا علاقة جلاد وضحية.

ويشـير الباحث طرابيشـي إلـى تأثير الطائفيـة السـلبي علـى إمكانيـة حيـاة ديموقراطيـة سـليمة، فيعتبرهـا أول الأمـراض. أما ثاني أمراض المجتمع الأهلي العربي، فيتمثل في النمو المتعاظم لظاهرة التجمعـات المذهبيّة (الممولـة بالدولارات!) وخطورة هـذه التجمعات التـي تأخذ طابعًا مذهبيًـا فـي بعـض مظاهـر اصطدامهـا العنيف مع مبـدأ المبادئ في منظومة القيم الديمقراطية: حرية الفكر والاعتقاد. فسلاح "التكفير" الذي تشهده هذه التجمعات يمثل، في إطـار الوضعيـة العربية، أعلى أشـكال العُنف المعنوي.

لا شـك فـي أن الديمقراطيـة هـي، فـي التحليل الأخيـر، ثقافـة ومنظومة قيم متضامنـة: فهي لا يمكن لها أن تكون نظامًا فصاميًا، أي لا يمكن أن تكون نظامًا للحكم دون أن تكون نظامًا للمجتمع. والمجتمع، في المقام الأول، نسـيج مـن العقليات. يبقى أن المجتمع الذي يريد الديمقراطية في السياسة ولا يريدهـا في الفكر هو مجتمع يستسـهل الديمقراطية ويختزلها في آنٍ معًا.

هـذا في الديمقراطية. أمـا في مبحثه "الفلسـفة العربيـة المسـتحيلة"، فينفـي طرابيشـي وجـود فلسـفة عربيـة حديثـة أو معاصـرة، علـى الرغـم من "تـو ماوية" يوسف كرم، و"وجودية" عبد الرحمن بدوي، و"جَوانيـة" عثمـان أميـن، و"شـخصانية" عزيـز الحبابي، و"ماركسـية" سـمير أمين، و"فيورباخية" حسـن حنفي و"هوسـرليته" في آنٍ معًا.

هل هناك فلسفة عربية؟

وإذ يتساءل عن أسباب عدم وجود – بل اسـتحالة وجود – فلسـفة عربيـة حديثة أو معاصرة، فهو يرصد ثلاث سلاسـل متراكبة من السببيات:

1. السـبب الأول هـو أن الفلسـفة المعاصـرة نفسـها، على الصعيـد العالمي، في أزمة؛ ومرد تلـك الأزمة يعود إلى تطوّر العلم بالذات.

2. السـبب الثانـي هـو أن المتفلسـف العربـي يجـد نفسـه اليـوم فـي وضعيـة مَـن لا يسـتطيع أن يتفلسـف إلا وفـق مثـال: فسـبق الغـربِ إلـى اجتـراح مأثـرة الحداثـة قـد جعـل كل مـا يمكـن أن يفكر فيه الملتحقـون بركب الحداثـة مفكرًا فيه مسـبقًا. فالحضارة الغربية قد باتت، بحكم أسـبقيتها إلـى الحداثة، تتحكم فـي الزمان الثقافـي للحضارات الأخرى؛ لذا لم يعد أمام المتخلفين في هذا العالم من مسـتقبل آخر غير حاضر المتقدمين.

3. ثالث هذه الأسباب، أن الفلسفة نبتة لا تزهـر إلا في تربـة العقل واسـتقلاليته. فالعقلانيـة – الشـرط الشـارط لتمخُّـض الفلسـفة – مازالـت بعيـدة عـن أن تكـون صاحبة الكلمـة الأولى فـي الثقافة العربية المعاصـرة، والعقـل السـائد فـي الثقافـة العربية مازال عقلاً تابعًا.

ولكـن لماذا تقدم الغرب ولماذا تأخرنا، نحـن العرب المسـلمون؟ يطرح طرابيشـي السؤال.

مـن الطبيعـي القـول إن السـؤال نزع مـن البدايـة إلـى أن يكـون تراجيديًـا: فاكتشـاف تقدُّم الآخـر قد يكـون في ذاته مفجعًـا للـذات؛ لكن اكتشـاف تأخُّـر الذات هو لهـذه الذات بمنزلة مأسـاة. من هنا جاز وصـف "الجـرح الأنثروبولوجـي" بأنـه، في الحـال العربيـة، جرح في العمـق. فهو جرحٌ مضاعـف: جـرح تقـدُّم الآخر، مـع أنه كان في الوعي السـائد، لحظـة صدمة اللقاء مع الغرب، "متأخرًا"؛ وجرح تأخُّر الذات، مع أنها كانت، في توهُّمها، "متقدمة".

وهكذا يكون "الجـرح الأنثروبولوجي" قـد اعتمل على مسـتوى قطيعتين: قطيعة العـرب عن حاضر الغـرب، وقطيعتهم عن ماضي العـرب أنفسـهم. وعلى هـذا النحو أيضًا، اقتحم ساحة الوعي العربي مفهومان تأسيسـيان جديـدان: الثقافـة بالإحالة إلى الآخـر، والتـراث بالإحالـة إلى الـذات. وبين فكـي كماشـة هذيـن المفهوميـن لا يفتـأ الوعي العربي، منذ نحـو قرنين من الزمن، يتقلب ويتخبط: فهو يريد نفسـه في ثقافة العصر دون أن يقطع مع تراثه؛ وهو يريد أن يحيي تراث ماضيه دون أن يميت نفسـه عن ثقافة العصر.

وغني عن البيان أنه، بدءًا بثنائية التراث والثقافـة التي هيمنـت على القرن التاسـع عشـر وكانت في الأسـاس الإبسـتمولوجي لما عُرِفَ باسـم "عصـر النهضة"، تطورتْ على امْتداد القرن العشـرين ثنائيات شـتى متلاحقـة، بـدءًا بثنائيـة القديـم والجديد، مـرورًا بثنائيـة الاتبـاع والإبـداع، وانتهـاءً بثنائية الأصالة والحداثة. وإنما من الاشتغال الجدلـي لهـذه الثنائيـات، ومن مسـاهمات الأجيـال المتعاقبة فيها، تشـكل في العالم العربي واقعٌ ثقافـي جديد هو هذه الثقافة العربية الحديثة التي نستظل جميعًا بظلها والتي يصح وصفها بأنها، علـى الرغم من دعاة الاستنساخ من كلا المعسكرين، ليست نسخة طبق الأصل لا من التراث الأصيل ولا مـن الثقافة الوافدة، بل هـي تركيب ناجح، بقدر أو بآخر، أو ربما فاشـل، بقدر أو بآخر، من لقاء هذين الرافدين.

جـورج طرابيشـي، هرطقـات: عـن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربيـة، دار السـاقي، بيـروت، 2006.

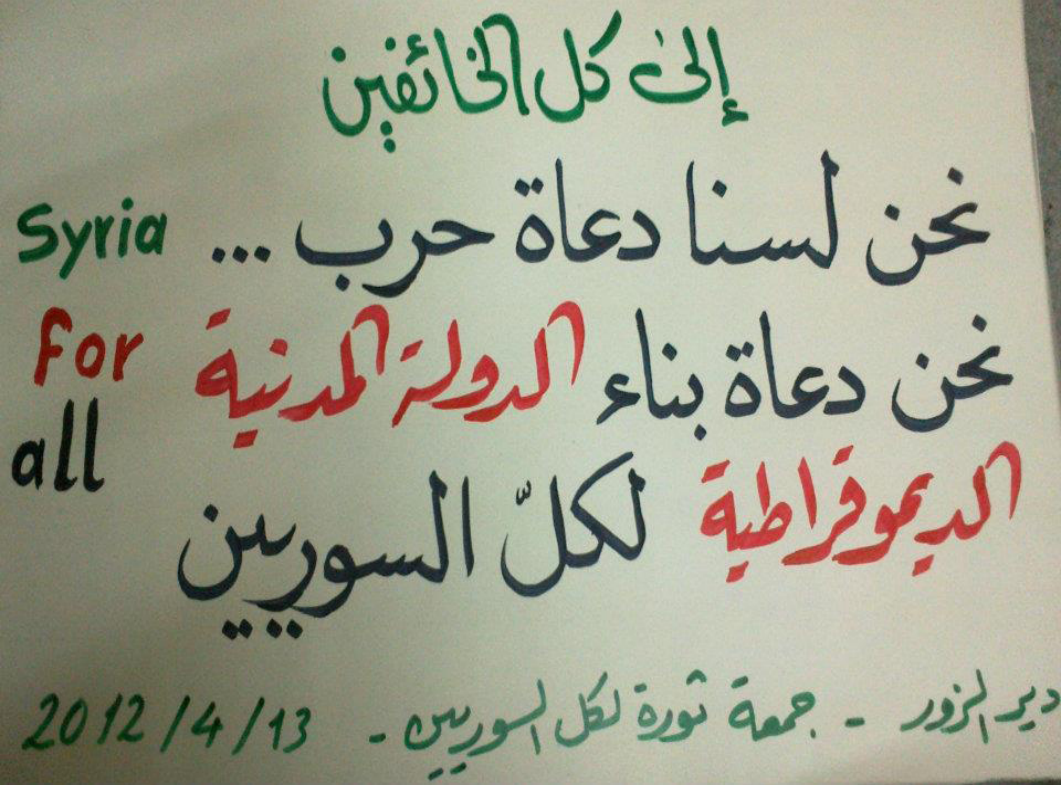

في البحث عن «الإله» المفقود: جمعة الآلام السوريّة

■ براس شحيد

«الإله» المفقود

في كتاب «الليل» قصّة مؤلمة حصلت في معتقل «أوشفيتز» الرهيب، أنقلها هنا بشريعتها راجياً من القارئ الكريم ألا يأخذها بحَرْفيّتها. في أحد الأيام، تمّ جمع المساجين ليشاهدوا شنق مجموعة من المعتقلين، وبينهم طفلٌ نحيل في الثانية عشرة من عمره. سحب الجنود الكرسي من تحت قدمي الطفل، لكنه لم يختنق بسرعة، ولم يكن له من الوزن ما يكفي لتنكسر عنقه، فظل معلقاً في الهواء ينازع دهراً قبل أن يخلّصه الموت. أحد المساجين قال بصوتٍ مضطرب: «أين هو الله؟» لكن لا مجيب! وبعد بضع دقائق من الصمت الخانق، والطفل المنازع ما زال حيّاً، ودموعه المالحة تنهمر من عيون الجميع، يكرّر السائل تساؤله بإلحاح: «أين هو اللّه؟»، فيجيب قلب الكاتب: «إنه معلّقٌ على المشنقة!».

بريد «اللّه»

إن سألني أحدٌ اليوم: «أين هو الله في سوريا؟» لأجبت: «إن كان «اللّه» رحيماً، فلا يمكن إلا أن «يسكن» في جسد عفاف المهشّم، وجلد مصطفى المتفحّم، وحنجرة ابراهيم المبتورة، وورود غياث الذابلة، ودموع كل ضحيّة!» فمنذ زمن بعيد، لم يعد «اللّه» يجلس كثيراً في الكنائس والجوامع، لأنه ملّ رائحة البخور وضجيج الخطب حين لا تعرف إلا لغة الخوف أو الوعيد، كما سئم ألحان تلك الترانيم التي كَنَسَتِ الإنسان كما يُكنس الغبار، وضَجَر من أصوات الأجراس والمؤذنين حين صارت حبوباً مخدرة... منذ زمن بعيد، وجد «اللّه» بيوتاً أنسب من المذابح القديمة، لأنه كان رحيماً أكثر من كونه «متديّناً»، وفضّل على المعابد الشوارعَ الطويلة، والمقاهي المكتظة بالحالمين، وجروح المشردين، كما أحب أطراف الأزقة، حيث يجلس المتسولون، ويسترق بائعو الورود النظرات بصمت... منذ زمن بعيد، هجر «اللّه» مذابحه القديمة، وكتب على أحد جدران حمص عنوانه الجديد: «بيتي مآسي السوريين، وخيم لاجئيهم، وقلوبهم الفسيحة!».

العرش الفارغ

في الجمعة العظيمة منذ ألفي عام، صلبوا يسوع الناصري - بحسب الإيمان المسيحي - ومعه لصّان. وفي الجمعة العظيمة من العام الماضي، تجاوز عدد الشهداء الذين سقطوا برصاص الأمن في سوريا، وللمرة الأولى، المئة! عندها، تأبّط «اللّه» حمص ورحل ليسكن شارعاً وزقاقاً وخيمة، تاركاً للطائفيّين أصنامهم، فصار عرشُ «اللّه» فارغاً، لأنّ القلب صار مذبحَه ومحرابه، وصار «اللّه» ألفةً في كل غريب، وحياةً في كل شهيد، ووطناً في كل لاجئ، ولم يعد «اللّه» مُلْكاً لأحد، وصار الجرح «إلهيّاً»، والنصرُ إنساناً يعشق الحرية.

سؤالٌ مُلِحّ

صرخ معلّقٌ من الناصرة على خشبة: «إلهي إلهي لمَ تركتني؟»، ورفع ناشطو كفرنبل لافتةً كتبوا عليها: «يسقط النظام والمعارضة... تسقط الأمة العربيّة والإسلاميّة. يسقط مجلس الأمن... يسقط العالم... يسقط كل شيء» (2011/10/14). لم يسقط كل شيء، وبقي العالم وبقيت الأمة، وبقي السؤال يتردد إلى يومنا هذا: «لمَ تركتني؟»

رجلٌ استضاف عائلةً من دين آخر، صارت بلا مأوى، في بيتهِ الصغير، فكانت إنسانيّته جواباً على السؤال الملحّ، ولو غير كافٍ...

مِلْحٌ وموسيقى

هناك في الجلجلة، حيثُ تجمّع المئات ليشاهدوا ناصريّاً معلّقاً على الخشبة، هناك حيث اختنقت الأصوات وتعالى النحيب، هناك حيث صفّق بعضهم، وأغمض آخرون عيونهم، هناك حيث تجمّع «الشبّيحة»، هناك حيث انهالت نيران المدافع على المتظاهرين الوافدين من دمشق، هناك حيث قامت ألف طائفةٍ وطائفة، هناك حيث كانت نظرات الأطفال مالحة، هناك حيث أحرق العسكر محاصيل الذرة، هناك حيث اغتُصبت نساءٌ في معمل السكر، هناك حيث انقرضت بابا عمرو إلا من الذاكرة، هناك حيث أمطرت السماء ألف صمتٍ وكلمة، هناك، شاهدتُ عصفوراً ما زال يغرّد للحرية، و«إلهاً» لا يملك سياطاً، ووطناً يبحث عن سكانه...

«الإله» المُستعاد

عندما سقط في الجمعة العظيمة أكثر من مئة شهيد، وصار الألم طحينَ السوريّين، وصار المشرَّدون عنوان «اللّه» الجديد في سوريا، واليتامى أحباءه، والمظلومين أصفياءه، طالب «اللّه» الدينَ مجدّداً ألا يكون ديكتاتوراً، وألا يكون انغلاقاً، وصار من واجب الدين أن يحتفل بالإنسان، أمؤمناً كان أم لا، وصار بإمكان الإنسان أن يحب بحريّة أكثر، لأنه هكذا أحب «اللّه» العالم!

راهب يسوعي من سوريا
جريدة السفير 7-4-2012

شهداء سورية

مجموع الشهداء (13452)

دمشق: 236
ريف دمشق: 1124
حمص: 5605
حلب: 371
حماه: 1423
اللاذقية: 243
طرطوس: 56
درعا: 1383
دير الزور: 542
الحسكة: 44
القنيطرة: 18
الرقة: 57
ادلب: 2435
السويداء: 5

1116 عدد العسكريين
12336 عدد المدنيين
855 عدد الإناث
214 الأطفال الإناث
719 عدد الأطفال الذكور

المصدر: إحصائية قاعدة بيانات شهداء الثورة السورية 13 / 4 / 2012
http://syrianshuhada.com